اتحاد الكتاب والأدباء
السوريين الأحرار

مجلّةُ ورق

أدبيّة ثقافيّة فكريّة فصّلية الكترونيّة

نيسان ٢٠٢١م

العدد
٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلّة ورق

أدبيّة ثقافيّة فكريّة فصّلية الكترونيّة

تصدرُ عن اتّحادِ الكتّابِ والأدباءِ السوريّين الأحرار
مديرُ التحّريرِ محمد أمين أبو بكر
رئيّسةُ التحّرير عفاف الّرشيد

للمراسلةِ والتواصلِ مع إدارةِ المجلة

البريدُ الإلكتروني Baber.magazine@outlook.sa

جدول المحتويات

أولاً: التمهيد: ٨

ضوابطُ النّشرِ في مجلّةِ ورق ٩

الافتتاحية | رئيّسة التحرير عفاف محمد الرشيد ١١

ثانياً : الدراسات الفكرية والتراثية: ١٢

الفوضى في الأدب والبحث عن الإشباع الروحي | بقلم غادة قويدر ١٣

كَمْ أُوتِيْنا مِنَ العِلْم؟ | محمّد ياسين نعسان ١٦

ثالثاً: الشعر: ٢٦

ملكٌ على أبوابها ضلّيلُ | الشاعر علي صالح الجاسم ٢٧

صرخةُ الجرح | الشاعر محمد نادر الرزوق ٣٠

أنثى من الماء | الشاعر حسين أحمد الحسين ٣٢

المطالع | الشاعر طالب سليمان الشنتوت ٣٤

رؤى وأطياف | الشاعر محمد نادر فرج - أبو همام ٣٦

طفولة منسية | الشاعر عمر كرنو ٣٨

سيزيف | الشاعر عبد الباسط عليان ٣٩

شعبٌ أنا | الشاعر محمد أحمد عز الدين ٤١

رسولُ الأملْ | الشاعر أكرم عطوة ٤٢

جوع الفجر | الشاعر صلاح العيسى ٤٤

سقط النصيف | الشاعر محمد كمال قجة ٤٥

نثرية قابَ قَوسَينِ أَو أَدنى (١) | الشاعر صالح أحمد كناعنة ٤٧

رابعًا: القصة: ٥٢

مدينةُ الأرواحِ الذَّابلة | أسامة آغي ٥٣

زيتون المعتقل وزيتون أم خالد | محمد الغانم ٥٧

الشعب يريد | جهان سيد عيسى ٥٩

أنا وجدَّتي والحمار | د. عيسى ضيف الله حداد ٦٠

طيور بلا أجنحة | شذا برغوث ٦٣

انتظار | عبد الله أبو كشّة ٦٨

أصوات | محاسن سبع العرب ٦٩

حَاسْ | فيصل عكلة ٧٠

درويش ما بعد الحدث | ألماز علو ٧٣

خامسًا: ضيف العدد ٨٤

مؤسس اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار الشاعر محمد إقبال بلّو | عبد القادر حمّود ٨٥

سادسًا: دراسات أدبية ونقدية: ١٠٢

فنُّ القصَّةِ القصيرةِ | عبد الغني حمادة ١٠٣

تناغم بين الفن الروائي والفن التشكيلي في رواية اللحاف للكاتب أيمن ناصر | عفاف الرشيد ١٠٨

إلماعات نقديّة في مجموعة (الشّعب يريد) للقاصّة جهان سيد عيسى | محمد بشير الخلف ١١٦

البُعد الاجتماعي في رواية (هنا ترقد الغاوية) للروائي اللبناني محمد إقبال حرب | محمد فتحي المقداد ١٢٢

سابعًا: شهداء الثورة: ١٣٠

الشهيدُ الأديب عبد الهادي قاشيط (١٩٦٧- ٢٠١٣م) | عبد القادر حمود ١٣١

ثامنًا: أقلام واعدة: ١٣٨

انتماء | جنى الغانم ١٣٩

مأساة سعيد ١٤١

جاهد بصمت واستشهد بصمت ١٤٨

أولاً

التمهيد:

ضوابطُ النّشرِ في مجلّةِ ورق :

١. ترحّبُ مجلّةُ ورق بالنّصوصِ الإبداعيّةِ، في مختلفِ الفنونِ الأدبيّةِ، شعراً ونثراً، وبالدّراساتِ اللّغويّةِ، والأدبيّةِ، والنقديّةِ، مع الحفاوةِ والاهتمامِ بجيلِ الشّبابِ، وأدبِ الأطفالِ، وجميعِ ألوانِ الفنّ التّشكيليّ، والتّطبيقيّ، والخطّ العربيّ، وبما يتناسبُ مع رسالةِ المجلّةِ، وأهدافِها السّاميةِ.

٢. لا تُقْبَلُ الموادُّ الّتي تمسُّ الرّموزَ الدّينيّةَ.

٣. لا تُقْبَلُ الموادُّ الّتي تُثيرُ النّعراتِ الطّائفيّةِ والعنصريّةِ.

٤. أنْ تكونَ المادّةُ خاليةً قدرَ الإمكانِ مِنَ الأخطاءِ النّحويّةِ، والإملائيّةِ، والمطبعيّةِ، مع ضبطِ أواخرِ الكلماتِ بالحركاتِ المناسبةِ، وضبطِ الكلماتِ بالحركاتِ اللّازمةِ لتوضيحِ المعنى، مع الاهتمامِ بوضعِ علاماتِ التّرقيمِ في أمكنتِها.

٥. إرسالُ المادّةِ بصيغةِ ملفّ مع تعريفٍ قصيرٍ بالكاتبِ، وصورةٍ شخصيّةٍ له، والعنوانِ المفصّلِ، ورقمِ الهاتفِ.

٦. يجبُ ضبطُ القصائدِ بالحركاتِ بشكلٍ كاملٍ.

٧. تُرفقُ الدّراسةُ بقائمتَيْ المصادرِ والمراجعِ، في نهايةِ البحثِ.

٨. في قراءاتِ الكتبِ، يستوجبُ إرفاقُ صورةِ غلافِ الكتابِ الّذي يتمُّ عرضُهُ، وعنوانُهُ، واسمُ مؤلّفِهِ، ودارُ النّشرِ، ومقرّها، وسنةِ النّشرِ.

٩. تفسحُ المجلّةُ المجالَ أمامَ الكُتّابِ الّذينَ يشاركونَ بأبحاثٍ متميّزةٍ، ودراساتٍ نقديّةٍ هادفةٍ، تثري الحركةَ الأدبيّةَ والثّقافيّةَ، للمساهمةِ في جميعِ الأعدادِ الصّادرةِ

مـن مجلّـةِ ورق، وفـقَ شروطِ النّـشرِ المعتمـدةِ في المجلّـةِ.

١٠. إرفاقُ الموادِّ المترجمةِ بالأصلِ المترجَمِ، وتعريفٌ بكاتبِ النّصِّ.

١١. الموادُّ الّتي لم تَنَلِ القبولَ تتحفّظُ المجلّةُ عن ذكرِ أسبابِ عدمِ قبولِها.

١٢. مـا يُنـشرُ في المجلّـةِ يعـبّرُ عـن رأيِ كاتبِـهِ، ولا يعـبّرُ بالـضّرورةِ عـن وجهـةِ نظـرِ المجلّـةِ والمشرفـينَ عليهـا.

١٣. الأبحـاثُ والدّراسـاتُ الّـتي تقـترحُ إدارةُ التّحريـرِ تعديلَهـا، تُعـادُ إلى كاتبِهـا قبـلَ النّـشرِ لإجـراءِ التّعديـلاتِ المطلوبـةِ.

١٤. لا تدفعُ المجلّةُ مكافآتٍ ماليّةً عمّا يُنشرُ فيها.

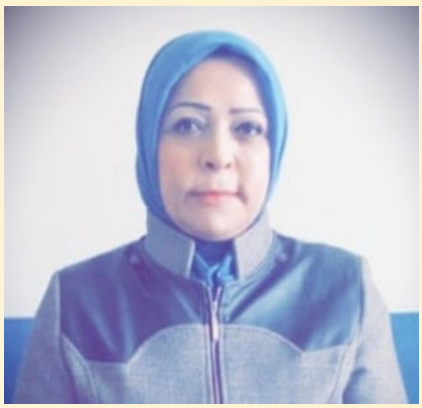

الافتتاحية

رئيّسة التحرير عفاف محمد الرشيد

مجلّـةُ (ورق) الإلكترونيّـةُ الفصليّـةُ، منـبرٌ مـن منابـرِ اتّحـادِ الكُتّـابِ والأدبـاءِ السّـوريّينَ الأحـرارِ، لبنـاءِ ركـنٍ ثقـافيٍّ رصـينٍ يدعـمُ قيـمَ الثّـورةِ السّـوريّةِ وأهدافَهـا النّبيلـةَ، ترصـدُ الحركـةَ الأدبيّـةَ على جميـعِ الأصعـدةِ، لتوثيـقِ مراحـلِ الثّـورةِ بـالأدبِ والفكـرِ، فـهيَ تهتـمُّ بجميـعِ حقـولِ الأدبِ و المعرفـةِ، منهَجُهـا احـترامُ الـرأيِ، وبنـاءُ أواصرِ حـوارٍ حضـاريّ، تسـتمدُّ روافدَهـا الأخلاقيّـةَ مِـنَ القيـمِ الّـتي رسّـخَتْها الثّـورةُ السّـوريّةُ المباركـةُ، تنـشُر الإبـداعاتِ الأدبيّـةَ في الشّـعرِ والقصّـةِ، والأبحـاثَ والدّراسـاتِ النّقديـةَ، والمتابعـاتِ الثّقافيّـةَ في المـسرحِ والسّـينما والموسـيقى والفنـونِ التّشـكيليّةِ والخـطِّ العـربيِّ، تهتـمُّ بعـروضِ الكُتُـبِ القيّمـةِ فى العلـومِ الإنسـانيّةِ، والدّراسـاتِ الفكريّـةِ البحثيّـةِ في مجـالِ اللّغـةِ العربيّـةِ وآدابِهـا، مـع الحفـاوةِ بجيـلِ الشّـبابِ وأدبِ الأطفـالِ، إنّهـا مظلّـةٌ ثقافيّـةٌ وطنيّـةٌ، تسـعى لنـشرِ بيئـةٍ تحـترمُ حرّيّـةَ التّعبـيرِ ضمـنَ إطـارِ الموضوعيّـةِ، غايتُهـا تحقيـقُ أهـدافِ الثّـورةِ، وإرادةِ الشّـعبِ السّـوريِّ في التّغيـيرِ مـن أجـلِ سـوريةَ القادمـةِ، دولـةِ العدالـةِ واحـترامِ الإنسـانِ، ترحـب بأدبـاء الوطـنِ العـربيِّ وفكرِهِـمُ الدّاعـمِ للحرّيّـةِ والتّحـرّرِ.

مجلّـةُ (ورق) ليسَـتْ تابعـةً لأيِّ جهـةٍ، وبـأيِّ صفـةٍ كانَـتْ، وليسَـتْ مموَّلـةً مـن أيِّ جهـةٍ، تطوّعيّـةٍ، تتبـنّى قِيَـمَ الثّـورةِ السّـوريّةِ المباركـةِ في بنـاءِ وطـنٍ يليـقُ بالسّـوريّينَ وحضارتِهـم وتاريخِهِـمُ العريـقِ. عاشَـتْ سـوريةُ حـرّةً وعاشَ شـعبُها العظيـمُ.

ثانيًا

الدراسات الفكرية والتراثية.

الفوضى في الأدب والبحث عن الإشباع الروحي.

بقلم غادة قويدر

إنّ من نتائج القومية العربية التمازج بين الثقافات الدخيلة والثقافة العربية، وكانت اللغة هي المتأثر الأكثر في هذا التمازج، يليها الأدب من زمن فتح بلاد فارس وما تركته هذه الفتوحات من انعكاسات على الأدب العربي وعلى كافة أمور الحياة في الحضارة العربية، وقد وجد العديد من المنافسين للأدباء العرب لاسيما في الشعر العربي ، ومثال ذلك الشعراء من بني فارس ممن يتقنون العربية والشعر العربي أكثر من الشعراء نفسهم في عهد بني أمية، وهم من القومية الفارسية أصلاً، لكنهم عرفوا العربية وأتقنوها بعد اعتناقهم الإسلام واحتكاكهم بالحضارة العربية في كافة مجالاتها من ثقافةٍ وتجارةٍ ومهنٍ ونسبٍ وأكثر ما ظهر هذا في الجزيرة العربية، وبالرغم من مرور اللغة العربية بأدوارٍ متعددةٍ، وخضوعها للاستعمار كما الأرض والبشر تماماً، نراها كافحت وناضلت وعلى لسان متحدّثيها ومحبيها لإثبات كينونتها وتواجدها على مر العصور إلى وقتنا الحاضر، فاللغة ليس اللسان الذي يلهج بها فقط بل هي القلبُ الذي يتبناها بكل خفقةٍ، وتتغزّل بها المشاعر، وتطرب لها الأسماعُ، ولذلك كانت هي المضرب الحساسُ والسوط الذي يحمله أي محتل لتفرقة الأمةِ وبسط سيطرته. ولو لم تكن اللغة العربية هي لغة الحق والجاذب الروحي والعقائدي للعرب لما صمدتَ أمام التحدّيات الكبيرة

التي تواجهها ويواجهها الإنسان العربي في كل زمان ومكان، فالأمة العربية ليست عربية اللسان فقط بل عربية الشعور والروح، والعربي لا يكاد ينفصلُ عن المكان الذي يولد فيه إلا ويتنازعه الحنين والشوق إليه، هي الفطرة المصبوغ فيها بني يعرب أينما حلوا أو حيث رحلوا، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة الدين الإسلامي الذي بانتشاره انتشرت هذه اللغة وخرجت إلى الكثير من أصقاع الأرض، والذي جعل لغة التفاضل بين البشر هي التقوى وليس العرق واللون، والشعر العربي كان المكون الأساسي لنقل السير والأحداث، إضافة إلى الفنون الأخرى، لكن للشعر العربي صبغته الخاصة في اختراق الوجدان والشعور، ولتحويل مجرى الحدث السياسي والاقتصادي أمام هذا التكاثر والانفتاح القومي الذي أهلتّه لغتنا الأم للإنسان العربي لأن يؤثر ويتأثر إيجابا لا سلباً في تغيير الإنسان العربي حسب ما تتطلب الظروف الراهنة، ولكن أن تُزجنا التحديات السياسية التي تكاد تتغلب على أقلامنا وتحولنا إلى دُمى بلا عقول ولا مشاعر، تحركها البواعث النفسية والاجتماعية التي فرضتها الهيمنة الفكرية على لغتنا ونسجينا لنكتب بمشاعر موتورةٍ تبحث عن بصيص فرجٍ يشبعُ هذه الأرواح التي تدور في فراغٍ أجوفٍ، والذي يكاد أن يكون مزيفاً في كثير من الأحيان ، دون الرجوع إلى ما هو أقّوى مِن ذلك إلى مَن يمتلك هذه الروح يمنحها ويقبضها ساعة شاء، هذا ما أعزيه إلى التشتت الفكري والألم العقائدي الذي بتنا نتخبطُ فيه، وما أثمرَ علينا سوى فوضى في الأدب نتيجة لفوضى النسغ المغذي لهذا الأدب، لا لشيء يرتقي بنا كأمة بل إلى مزيد من الضياع، وكأننا لسنا بمبتكرين ولا مجددين ولا حداثيين بل تغلبت علينا فوضى المشاعر، فبتنا نسكبها من غير تدليل ونقتلُ الحاضنةُ الأولى وهي أرواحنا، وكل ظننّا بأننا ندرك بها إشباعا ذاتياً ووهماً نحن نسجناه، فما

أحوجنا إلى التفكّر والتدبّر فيما نطرحُ ونحاسبُ أقلامنا قبل أن تجعلنا في أغلالٍ لا ننفكُ منها، وبالتالي نُقتلُ يقيناً بلغتنا ونتاجنا، وأن نقتدي بالأوائلِ من أبناء أمتنا الذين مازالوا مشاعل الهداية بكتبهم ونتاجهم الأدبي وبحثهم العلمي لكافة الأمم تطبيقاً ومنهجاً وسلوكاً، وأن نبتعد عن التقليد الأعمى لأممٍ غربيةٍ تفصلنا عنها الديانة والعرف والتقاليد، ونحافظ على قوميتنا العربية وهويتنا الأدبية عربيةً بجوهرها، هذه القومية التي كان نبضنا الأول فيها هو الشعر والنبضُ الثاني هو القرآن الكريم بكل روحانيتهما، بعيدا عن التكلّف في ضغط السهل من القولِ وزجِ المضغوطِ في قولبةٍ لا تتسع لهيكلهِ، ولا تستطع أنفاسنا أن تدركه، فكيف تستطع مشاعرنا أن تستوعبه وتتراقص على أنغامه، إن هو كان لا يحمل نغماً ولا جماليةً تأسرُ العين وتسرُ الخاطر.

كمْ أُوتِينا مِنَ العِلْمِ؟

محمّد ياسين نعسان

تمهيد:

وُجِدَ الإنسانُ على هذه الأرضِ وبدأَ رحلةَ البحثِ المتواصلةِ للوصولِ لغايةٍ تُعْتَبَرُ من أهمِّ الغاياتِ إنْ لَمْ تكنْ أهمُّها على الإطلاق، ألا وهي (السَّيطرةُ على الطَّبيعة)، حيث كانتِ الظواهرُ الطبيعيّةُ تشكِّلُ هاجساً ورعباً وقلقاً دائماً للإنسانِ فكانتْ هذهِ الغايةُ الأولى (السَّيطرةُ على الطَّبيعةِ) متعدِّدَةَ الأشكالِ والأساليب..

وعندما كان يشعرُ الإنسانُ بالعَجْزِ عن مواجهةِ هذه الظَّواهرِ وعدمِ القدرةِ على فهمِها وتجنُّبِ أضرارِها، كان يجنحُ إلى الاستسلامِ لها فأنتجَ الأساطيرَ لمحاولةِ تفسيرِ الطَّبيعة وتفسيرِ القوى الخارقة الَّتي تقفُ خلف ظواهرِها، وفكرةُ الآلهة المتعددةِ جاءتْ من محاولة إدخالِ بعض الطمأنينة لنفس الإنسانِ الحائرِ أمام ظواهرٍ لا يعلمُ عنها شيئاً، وفي مراحل متقدِّمةٍ استطاع الإنسانُ أن يُعمل عقلَهُ في سبيلِ بلوغِ غايتِهِ القُصوى من خلال فرض نفوذه على الطبيعة فأوجَدَ حلولاً لبعض المشاكل مثل فيضان الأنهار والسُّيول، فقامَ ببناء السُّدودِ وشَقِّ التّرع فنجحَ لحدٍّ كبيرٍ في ضبط الخراب الكبير الَّتي كانت تخلِّفُه، واستفادَ من هذه المياه في إنشاءِ حضاراتٍ على أطراف الأنهار، إضافةً لاكتشافِ الزّراعة والنّار والتخلّص مِنْ حالة الحياةِ المُتنقلة حسبَ الفصول المناخية، فنشأتْ بعضُ العلوم الضرورية لحياة الإنسان الأوليّ مثلَ علمِ الفَلك الذي كان مهمّاً لرصدِ حركةِ الأمطار وعلمِ الحسابِ والهندسةِ..

لقد اقتصرتِ العلومُ على ما هو ضروريٌّ ونافعٌ لذلك سُمِّيَتْ مرحلةَ المعرفةِ العمليَّةِ الَّتي لا تُعْنَى إلا بما هو ضروريٌّ لبقاء الإنسان، ثمَّ انتقلَ من مرحلةِ اتقاءِ شرّ الطَّبيعة إلى مرحلة الاستفادةِ من ظواهرها والسيطرةِ عليها والتحكُّمِ بها وإخضاعها لرغباتِهِ وتسخيرِها لخدمتِهِ ورفاهيَّتِه..

قوّة العِلْم:

كانتْ رحلةُ المعرفةِ الإنسانيَّةِ تسيرُ في اتجاهينِ اثنين:

١. الاتجاهُ الأوَّلُ: كانت غايتُهُ هي الوصولُ للحقيقةِ المُطْلَقةِ في الكون والإنسان فبرزَ في هذا الجانب (الفلاسفة ورجال الدِّين)..

٢. الاتجاهُ الثَّاني: كانتْ غايتُهُ تحقيق الرَّاحة واللّذّة والحضارة فبرز في هذا الجانب (العلماء الطّبيعيون والمادّيون)..

هذا، وقد بلغَ العلمُ الماديُّ مراحلَ متطوِّرةٍ جداً في عصور النَّهضة الأوروبية وخاصة عندما أصبحت العلومُ تتَّخذُ مناهجَ للبحث العلمي مكَّنتْها من الوصول لاكتشافاتٍ كُبرى ساهمتْ في تطوُّرِ العلوم بشكلٍ كبيرٍ وملحوظٍ وخاصَّةٍ عندما ظهرَ المنهجَ التجريبيُّ على يدِ (غاليليه) ومن ثم تبنَّاهُ الفيلسوفُ الإنكليزيُّ (جون لوك).

إنَّ المنهجَ التجريبيَّ يعتمدُ على سلسلةٍ من الخطوات للوصول إلى قوانين العلم، يبدأُ بالملاحظة أو «المشاهدة»، ومن ثمَّ إنشاء فرضيَّةٍ لمعالجةِ الظَّاهرةِ أو المشكلةِ، ومن ثمَّ إقامةِ تجاربَ على تلك الفرضيَّةِ للتحقُّقِ من صحَّتها إلى إقامةِ البرهان، ومن ثمَّ صياغةِ قانونٍ علميٍّ، وهذا المنهج لاقى نجاحاً باهراً في مجال العلوم الطَّبيعيَّةِ حيث مكَّن الإنسانَ من الاقترابِ من بلوغِ غايتِهِ الَّتي

تحدَّثْنا عنها آنفاً (السَّيطرة على الطَّبيعة)، فبلغَ علمُ الأحياء والفيزياء والكيمياء والهندسات بكافَّةِ أنواعها وعلوم الطّبِّ والعلوم التكنولوجيَّةِ مراحلَ هامَّةً في التطوُّرِ جعلتِ البشرَ قادرين على محاكاة كثيرٍ من ظواهر العالم والطَّبيعة من الطَّيران والإبحار إلى بناء ناطحات السَّحاب والتحكُّم بالمسافات وإنشاء شبكات الاتِّصال الَّتي غيَّرت وجهَ العالَم واختصار الكثير من الزَّمنِ في نقلِ المعلومة، هذا بالإضافةِ إلى صناعةِ المَرْكَبات الفضائيَّةِ الَّتي مكَّنتِ الإنسانَ من اختراق الحَجْزِ الأرضيِّ والانطلاقِ للعالمِ المجهول، ولا ننسى التطوّرَ الكبيرَ في علم الزِّراعة والذي مكَّن الإنسان من التحكُّم بكمية ونوعيَّة وتوقيت إنتاج المحاصيل، فلم يَعُدِ الإنسانُ محكوماً بالمناخ وبالدورة السَّنويَّة بل أصبح ينتجُ مناخاً حسب رغبته (البيوت البلاستيكيّة مثلاً)، حتّى أنّه وصل لمرحلة تحديد نوعيّة المُنْتَجِ من خلال علم الجينات وتحسين السّلالة النّباتيّة والحيوانيّة (المداجن والهرمونات الصناعيّة) وذلك من خلالِ التحكُّمِ بالبنكِ الوراثيِّ، هذه القفزات العلميّة الكبرى لم تكن إيجابيّة بالكامل على مجرى حياة الإنسان، فمن جهةٍ وفَّرتْ له الحضارةَ والرّفاهيّةَ الكاملةَ والقدرةَ على التحكُّمِ بمجرياتِ الأحداث، ومن جهةٍ أُخرى وفَّرتِ المزيدَ من الدَّمار والخراب، حيث شهدَ العالَمُ نهضةً كُبرى في تطوير الأسلحةِ الفتَّاكةِ والمدمِّرَةِ والَّتي جعلتْ موتَ آلافِ البشرِ ودمارَ مدنٍ بأكملِها لا يحتاجُ أكثرَ من ضغطة زرٍّ..

لقد تطوَّرَ علمُ الطبِّ بشكلٍ لافتٍ حيث بدأتِ الإحصائياتُ تتحدَّثُ عن انخفاضِ نسبةِ الوفيّاتِ في البلادِ المتقدِّمةِ طبياً ويعودُ ذلك لتوفير الرِّعاية الصّحيّة المتقدِّمة واكتشاف علاجاتٍ للأوبئة الَّتي كانت تحصدُ ملايين الأرواح، وبالمقابل هناك إحصائيّاتٌ مُرعبة عن أعداد وفيَّاتٍ خلَّفها التَّقدُّمُ العلميُّ ذاتَهُ مثل حوادث السَّيارات والطيارات والماسّ الكهربائيِّ والأسلحةِ الحديثةِ الفتّاكة..

الأخلاق والعلم:

إنَّ الاختلافَ الجوهريَّ بين الأخلاقِ والعلمِ يكمنُ في المَصدر، حيث تعتمدُ الاخلاقُ على المعايير، أي إنَّها علومٌ معياريّةٌ تدرس القيَمَ وتدرس ما يجب أن يكون، على عكس العلم حيث يدرس ما هو كائنٌ وموجودٌ ومحسوسٌ ويخضعُ للتجربةِ ولا يهتمُّ العلمُ بما يجب أن تكون عليه الحياة إنَّما يهتمُّ بما هي عليه الحياةُ ويحاولُ تفسير هذا العالَم واكتشاف قوانينه.

لم يستطعِ العلمُ أو العقلُ أن يثبتَ القيمَ الأخلاقيةَ ولن يستطيع، لأنَّ القيمَ الأخلاقيةَ لا يمكن البرهنة عليها بالعقل أو بالعلم «التَّجربة»، ويعودُ ذلك لأنَّ العقلَ وقوانينه لا تتناسب مع القيَم، وأبرزُ مثالٍ على ذلك أنَّ من قوانين العقل «الغائية» أي لكلِّ فعلٍ غاية تحرِّكُهُ بينما الأفعال الأخلاقية لا يمكن ربطَها بغاياتٍ ولا تعنيها الغاياتُ بالأصل، فالصِّدق مثلاً قيمة أخلاقية لا يمكن إيجاد مبرِّرٍ عقليٍّ لماذا يجبُ علي أنْ أكونَ صادقاً دائماً، أو كيف نستطيع أن نبرِّرَ للفقير أنْ لا يسرق أموال الغنيِّ الَّتي جمعها بطرقٍ غير مشروعةٍ، إلاّ أنْ نقولَ له إنَّ السرقة فعلٌ لا أخلاقيٌّ بكلّ الحالات.

إذنْ، الأخلاقُ قِيَمٌ تستمدُّ أهميتَها من ذاتها وليس من النَّتائج المترتِّبة على تلك الأفعال، بينما العلم يحكم على قيمة الشَّيء أو الفعل من خلال نتائجه ونفعيَّته بالنسبة للإنسان..

وتبقى العلاقةُ بين العلم والأخلاق علاقة فرضِ سيطرةٍ، حيث الأخلاق تريدُ إخضاعَ الاكتشافات العلميَّة لقوانينها والعلم أيضاً يريد أن يفرض قوانينه على الأخلاق، وهذا ما حدث من اعتراض الأخلاقيين ورجالِ الدِّينِ على فكرةِ

(الاستنساخ البشريّ)، والاعتراضِ كذلك على ما يسمّى (القتلَ الرَّحيمَ) الّذي يُنهي حياة إنسانٍ مريضٍ ليس له أملٌ بالشِّفاء طبِّيّاً، وبالمقابل نرى محاولاتِ العلمِ التَّجريبيّ لتسخيرِ الأخلاق وإخضاعها لقوانين العلم، حيث قام أنصارُ «المذهبِ الطبيعيّ» بوضعِ معاييرَ جديدةً للقيَم (البراغماتيَّة النَّفعيَّة)، فأقرّوا بأنَّ «الخير»- والذي هو عمود موضوع الأخلاق- لا يحقِّق منفعتي وسعادتي بغضِّ النَّظر عن نتائجه الأُخرى وما يترتَّبُ عليها، ولقد ظهر هذا الاتّجاه منذ الإغريق وتمثَّلَ بالمدرسة (الأبيقورية) ومازال حتّى أيامِنا هذه، ونرى في أيامنا هذه أنَّ سياسة الدُّول المتقدِّمة تعتمد على هذه الفلسفة الأخلاقيَّة، فقتلُ مليون إنسانٍ في الغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣م لم يعتبرْهُ المجتمعُ الأمريكيُّ عملاً لا أخلاقيّاً لأنَّهُ يحقِّقُ المنفعةَ و«الخيرَ» للولايات المتَّحدةِ الأمريكيَّةِ، كذلك أيضاً حادثةُ إبادةِ الهنود الحُمْر..

الأخلاقُ والدِّين:

يقولُ الفيلسوفُ الألمانيُّ كانط (إنَّنا نعيشُ في عالَمٍ نرى فيه المظلومَ يموتُ دون أن يقتصّ من الظَّالم، وأنَّ الظَّالمَ يموتُ دون أن يُقْتَصَّ منه، فلابدّ من وجود عالمٍ آخرٍ بعد هذا العالم ينالُ فيه المظلومُ حقَّه من الظَّالم، ولابدَّ أنْ يُديرَ هذا العالم إلهٌ عادلٌ)، لقد أصرَّ «كانط» على وجود إلهٍ عادلٍ لأنَّ وجودَهُ ضرورةٌ لحفظ الأخلاق، إذن فالقيم الأخلاقية، قيمٌ موضوعيّةٌ مستقلَّة بذاتِها، تفرضُ نفسَها على البَشَر..

ولكنْ لابدَّ من معرفةِ الإجابةِ على التَّساؤلاتِ التَّاليةِ: كيف يُمكنُ للملحِدِ أنْ يتمثَّلَ القيمَ الأخلاقيةَ في سلوكه، إذا كانتِ القيمُ مستمدَّةٌ من عالَمٍ مفارقٍ لعالمِنا هذا؟!، ولماذا يلتزمُ بها من لا يؤمنُ بهذا العالم المُفارق؟! فالملحدُ دائماً

يحـاولُ أن يُظهـرَ ويـدَّعي بأنـه يتمثَّـل قيـم الإنسـانية والخيريّـة، وهـو بـذات الوقـت يرفـضُ وجـودَ شيءٍ سـوى المـادّة، وأنَّ هـذه الحيـاة عبـارة عـن صدْفـة، وأنَّ الإنسـان فيهـا غبـارٌ لا قيمـة له، وأنَّ نهايتـه للعـدم، فلمـاذا يُلـزِمُ نفسَـهُ بقيـمٍ أخلاقيّـةٍ يُمكـنُ أنْ لا يجـدَ ثمارَهـا في هـذه الدُّنيـا، كيـف يـبررون ذلـك!؟، فهـذا طبيـبُ الأعصـابِ المُلحـدِ «سـام هارتـس» يقـولُ إنَّ العلـمَ هـو الذي يكشـف عـن القيـم وإنَّ القيـمَ هي حقائـقٌ مسـخَّرَةٌ لرخـاء البشريَّـة، وإنَّ العلـمَ التَّجريـبيَّ هـو الّذي يحـدِدُ القيـمَ الأخلاقيّـةَ، وإنَّ الواجـبَ الأخـلاقيَّ هـو مـا يحقِّـقُ الرَّخـاءَ للكائنـات.

ويبـدو مـن تخبُّـطِ «هارتـس» في محاولـةِ إيجـادِ أسـسٍ واقعيَّـةٍ لمصـادرِ القِيَـمِ الأخلاقيَّـةِ، أنَّ هـذه القيـم تفـرضُ نفسـها على الإنسـان فإنّهـا تملـك سـلطةً عليـه وعلى المجتمـع ولكـن كلٌّ حسـب معتقـده يحـاول أن يجـدَ مصـدراً لتلـك القيـم.

نعـم، الملحـدُ يتمثَّـلُ القيـمَ عمليـاً فقـط دون وجـود أسـاسٍ نظـريٍّ أو عقـديٍّ تسـتند إليـه، ودليـل ذلـك أنَّـه غـيرُ مسـتعدٍّ للتَّضحيـة بحياتـه مـن أجـل تحقيـق تلـك القيـم، فـلا أحـدٌ يقـدِّم روحَـهُ قربانـاً إلا إذا كان على علـمٍ يقيـنيٍّ بوجـودِ عالَـمٍ آخـرٍ سـتكونُ فيـه تلـك الـروح في حـالٍ أحسـن ممـا كانـتْ عليـه.

إلا قليلا:

قالَ اللهُ تعالى: (ويسألونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الروحُ مِنْ أَمْرِ ربّي وما أوتيتمْ مِنَ العلمِ إلاّ قليلا)، (الإسراء ٨٥)، وبما أنَّ آياتِ القرآن صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ولا يمكنُ أنْ تفقدَ شيئاً من حقيقتها رغم تبدّل الأحوال، يحقُّ لنا التفكير بالآتي: هل هذه الـ(قليلا) ثابتةٌ لم تتغيَّرْ منذ نحو ١٤٠٠ عاماً تقريباً رغم كلِّ ما تَحدَّثنا عنه من تقدُّمٍ علميٍّ حقَّقَهُ الإنسانُ على مستوى سيطرتِهِ على الطَّبيعةِ، وهلْ هذا العلمُ القليلُ الَّذي أوتينا منه منذ تلك الأيام لا يزالُ قليلاً إلى يومنا هذا؟..

لقد حاولَ داروين في كتابه (أصل الأنواع) أن يصلَ لمعرفة كيف وُجِدْنا في هذا العالم ومعرفةِ حقيقةِ وجودِ هذا العالم بحدِّ ذاته، وأراد أن يُعطي نتائجَ أبحاثه صفةً علميّةً لكي تتحوّلَ إلى قوانين علميّة، لكنَّ المنهجَ العلميَّ التَّجريبيَّ يقولُ لابدّ لرحلةِ الوصولِ للقوانينِ العلميَّةِ المثبتةِ أن تمرّ بمرحلة الملاحظة (المشاهدة) ومن ثمّ التَّجربة ومن ثمَّ قانون علميّ، فالردّ على داروين بسيطٌ ولا يحتاج للكثير من التَّعقيد، فمِنْ قولِهِ تعالى في سورة الكهف: (ما أشهدْتُهم خلقَ السماواتِ والأرضَ ولا خلقَ أنفسِهِم وما كنتُ متَّخذَ المُضلّين عضدا) (٥١)، وبالتَّحديدِ كلمة (ما أشهدْتُهم)، وهذا لا يخلُّ بالمنهج العلميِّ الَّذي لا بدَّ له من المُشاهدة حتّى تتحقَّقَ أركانُهُ ويصبحَ قانوناً علمياً، وبهذا يكونُ داروين صاحبَ خيالٍ واسعٍ لا أكثر...

بالفعلِ لَمْ يصلْنا من العِلْمِ إلاّ قليلاً، طبعاً العلم الّذي يخصّ الرُّوحَ وحقيقةَ وجود الإنسان وليس العلم الطَّبيعيّ، فالعقل الإنسانيُّ قادرٌ على تحقيق الكثير في مجال العلم الطَّبيعيّ، أما المعرفة الوجوديّة الكبرى أو ما يسمَّى (الميتافيزيقيا) أو عالم الغيب أو العالم المُفارق فهي معرفةٌ عصيّةٌ على عقولنا الَّتي لا تتجاوزُ حدودَ

الطبيعـة الماديَّـة، ولا يقتـصرُ الأمـرُ على العالـم المفـارقِ بـل حـتّى النَّفْـس البشريّـة لا زالـت النَّظريـاتُ النفسـيَّةُ قـاصرةً على الفهـم الكامـل لمداخـل هـذه النَّفـس وغيرهـا مـن المواضيـع الإنسـانيَّة..

التسليم لله:

هـذا ولقـد وصلُنـا كبـشرٍ لمرحلـةٍ متقدِّمـةٍ جـدّاً مـن سـيطرتنا على الطَّبيعـة الَّـتي نعيـشُ فيهـا، ولكـنَّ للطَّبيعـةِ حتميّـةٌ تحكمُهـا، وللإنسـان قَـدَرُه، والتَّسـليم بهـذا القَـدَرِ هـو الفكـرة النهائيَّـة العليـا للإسـلام، فـأيّ شـكلٍ يأخـذ هـذا القـدر؟!..

دعْنـا ننظـرْ في حياتِنـا لـنرى مـا تبـقّى مـن خططنـا العزيـزة على أنفسـنا ومـا تبـقّى مـن أحلامنـا!، ألـم نـأتِ إلى هـذا العالـم بـلا حـولٍ ولا قـوةٍ لنـا في ذلـك؟!، ثـمَّ واجهنـا تركيبتَنـا الشَّـخصيَّةَ ومُنحنـا قـدراً مـن الذَّكاء قَـلَّ أو كـثُر، وملامـحَ جذَّابـةً أو منفِّـرةً، وتركيبـةً بدنيَّـةً رياضيَّـةً أو قَزَمِيَّـةً، ونشـأنا في قـصر ملـكٍ أو كـوخ شـحَّاذٍ، في أوقـاتٍ عصيبـةٍ مـن زمـن الإسـلام تحـت حكـم طاغيـةٍ جبّـارٍ أو أمـيرٍ نبيـلٍ، وفي ظـروفٍ جغرافيَّـةٍ وتاريخيَّـةٍ لـم يتـمّ استشـارتُنا بشـأنها، كـم هيَ محـدودةٌ تلـك الَّـتي نسـمِّيها إرادتنـا؟، وكـم هـو هائـلٌ وغـير محـدود قَدَرُنـا؟!..

إنَّ أكـبرَ مفهـومٍ للحريَّـةِ الإنسـانيَّةِ يكمـنُ في مواصلـةِ إيمانِنـا بالقـدر، ولا يعـني ذلـك الاستسـلام بـل التَّسـليم، نعـم، لقـد سـيطرْنا على الطَّبيعـة إلى حـدٍّ كبـيرٍ ولكـنْ هـل سـيطرنا على مجريـاتِ حياتنـا في هـذه الطَّبيعـة؟!...

ولـكي نـدركَ حقيقـة وضعنـا في هـذا العالـم يعـني أن نسـلّم لله، وأن لا يحملُنـا الوهـمُ على أن نبـدّد جهودنـا في الإحاطـة بـكلِّ شيء والتغلّـب عليـه، علينـا أن نتقبّـل

الزَّمـان والمـكان اللّذيـن أحاطـا بميلادنـا فالزّمـان والمـكان قَـدَرُ الله وإرادتـه، فالتّسـليم لله هـو الطَّريقـة الوحيـدة للخـروج مـن ظـروف الحيـاة المأسـاويَّة الَّـتي لا حـلَّ لهـا ولا معـنى...

إنَّ الإسـلامَ لـم يأخـذِ اسـمَهُ مـن قوانينِـهِ ومحرَّماتِـهِ بـل مـن السَّـلام بـين النَّفـس التّوّاقـة للخلـود وبـين القَـدَرِ المحتـوم، الإسـلام هـو لحظـةٌ فارقَّـة تنقـدح فيهـا شرارةُ وعيٍ باطـنيٍّ مـن قـوَّةِ النَّفْـسِ في مواجهـةِ محـنِ الزَّمـان، مِـنْ التهيُّـؤ لاحتمـال كلّ مـا يـأتي بـه الوجـودُ، مِـنْ حقيقـةِ التَّسـليم لله، إنَّـهُ النِّظـامُ الأمثـلُ للخـلاص، إنَّـهُ النِّظـامُ الأمثـلُ لعـودةِ النَّفْـسِ لموجِدِهـا الأوَّلِ بنفـسِ الصَّفـاءِ الَّذي بـدأتْ بـه رحلـةُ الـصِّراع مع الطَّبيعـة (الحيـاة الدُّنيـا)، والوصـولُ لذات النُّقطـةِ الَّـتي بـدأتْ منهـا (الجنَّـة)، فلتصـغِ نفوسُـنا لنـداءِ موجِدِهـا: (يـا أيَّتُهـا النفـسُ المطمئنَّـةُ ارجـعي إلى ربِّـكِ راضيـةً مرضيَّـةً فادخـلي في عِبـادي وادخـلي جنَّـتي).. أجـلْ، إنَّ تلـكَ الطمأنينَـةَ لا يمكـنُ لنـا الحصـولُ عليهـا مهمـا أوتينـا مـن العلْـم مـا لـم نؤطِّـرْهُ بالحقيقـةِ الأسـمى (التَّسـليم لله)...

ثالثًا

الشعر

ملكٌ على أبوابها ضلّيلُ

الشاعر علي صالح الجاسم

لا تبتئسْ هذا الطّريق طويلُ ... والسّائرون عليه ثَمَّ قليلُ

كنْ أنتَ مفتاح البداية وانتثرْ ... قمحاً سنابلُ حلمه ستطولُ

اقصدْ بمشيكَ سرْ بغير تردّدٍ ... لا يثنيَنْكَ تخوّفٌ وخمولُ

يوماً ستجلسُ.. حولك الأحفادُ ... تخبرهم حكايةَ ما جنى قابيلُ

حتماً ستخبرهم عن النّمرود ... كيف يصول في ساحاتنا ويجولُ؟

عن لعنة السّارين في أنفاسنا ... عن طعنةٍ في الظهر حين تغيلُ

عن جوقة الحمقى تظنُّ دماءَنا ... جسراً إلى أوهامهم ستدولُ

عن هيئة الأمم التي اتّحدتْ على ... أشلائنا ، والقاتلون مغولُ

ستقول كنّا عُزَّلاً إلاَّ مِنَ ... الأحلام تنسجُها الغداةَ فصولُ

اضبطْ جموح الوقت.. دَوِّنْ فكرةً ... في فهمها لا يُقبَلُ التأويلُ

«سجّلْ برأس الصفحة الأولى» ... العروبةُ كذبةٌ ودماؤها بترولُ

سجّلْ بأنْ قد صار يا ما صار في ... هذي الرّبا إذ يُقذفُ البرميلُ

شُلّتْ يمين الكبرياء بموطنٍ ... يُصليه ناراً خائنٌ وعميلُ

نـادى إلى الأقـصى الشريـف وقاحةً ... ورصاصــهُ في صدرنــا مغلــولُ

قـد حـطَّ هولاكـو بجيـب قميصـه ... حتفـاً ، فليـس لمـا اسـتباح مثيـلُ

ضاقـتْ بـكلِّ جهاتهـا الدّنيـا بنـا ... ذرعاً فكيـف إلى الخـلاص سـبيلُ؟

حـتى البحـار على رحابـة صدرهـا ... لــم يحتملْنــا موجُهــا المســدولُ

سرْ في طريقــكَ ســيّداً في نفســه ... يكتـبْ خلاصَكَ سـيفُكَ المسـلولُ

لـوّنْ سـماء الـروح .. ترجـمْ توقَهـا ... للعتــقِ .. ليــس كمثلهــا ســجّيلُ

منفــايَ قافلــة الغيــاب يجرّهــا ... نحـو اليبـاب مـع المسـاء جَهـولُ

منفـايَ منـذ قفلتُ يحملـني الحنينُ ... إلى الدّيــار فــؤاديَ المشــغولُ

منفـايَ أهـلي الطّيّبـون وقـد غـدوا ... نهــبَ التّفــاق المــرّ وهــو يســيلُ

مــردُوا عليــه كأنّ في غلوائــه ... ريحــاً على أكبادهــم ســتميلُ

ريحــاً على أكبادهــم ســتميلُ ... ريحــاً على أكبادهــم ســتميلُ

نحتــاج تيــه الأربعــين لينتــهي ... جيــلٌ ، ويُــولدَ للكرامــة جيــلُ

الحــقُّ ناصيــةُ الصّبــاح ســتنتشي ... في رســمه للثائريــن ســهولُ

سـيطلُّ مـن هـام الجبـال سـحابةٌ ... للظّامئــين فترتويــه طلــولُ

اكتــبْ على جدرانهــا: هــذا الذي ... قــد قــاله القــرآنُ والإنجيــلُ

انظـرْ أمامـك جـاوزِ البحـر الذي ... في منتهــاه ربيعُــكَ المأمــولُ

لـك موعدٌ في الشّـام فاختصرِ المدى ... وأزحْ لشــامَ الليــل يــا جبريــلُ

ذا قاسيونُ يشمُّ ريحكَ عابقاً ... في جوّها، والياسمينُ ذَهولُ

يا أيُّها الحرُّ النّبيلُ ألا ترى؟ ... بردى يصفّقُ إذ رآك تصولُ

هذا البشيرُ وذا قميصُكَ أخضرٌ ... ملكٌ على أبوابها ضلّيلُ

صرخةُ الجرحِ

الشاعر محمد نادر الرزوق

أتيّتُ أحّملُ آلامي ومأساتي ... وصرخةُ الجرحِ منّ أرض الحضارات

وشعرُ هند التي. قصّت. ضفائِرها ... وأرسلتْها إلى أهلِ المروءاتِ

وصوتُ ثكّلى تنادي أين أمتنا ... أين الصناديد فرسان الرهانات

أين الذين يبيعون النفوس إذا ... حرائر الشام سيقت للخطيئات

أليس في أُمّة الإسلام معتصمٌ ... لكي يضمدَ يا قومي جراحاتي

وكيف ترضون أنّ تُسبى حرائركم ... وأنّ تُدنسَ أعراضُ العفيفاتِ

ولا مددتّم إلى الثكّلى أياديكم ... ولا مسحتم على رأس اليتيمات

أما رأيتم نزيف الجرح في جسدي ... أما رأيتم سكاكين العصابات

مدى اللئام بأعماقي تمزقني ... ولم تلامسْ سماع العرب صرخاتي

بئّس الأخوة لا رحمٌ ولا صلةٌ ... ولا انتسابٌ لأفعالٍ حميدات

ما أفلحت أمةٌ تدعى لمكرمة ... أو تُستغاث لإنقاذ الضعيفات

طوتْ صحائفها الغراءُ وافتتحت ... صحائفاً كالليالي المدلهمات

يا ويح أمّك يا ابن العرب قد ولدت ... أخاً رماك بمران العداوات

ما أفلحَ العرب إلا في تخاذلهم ... وسعي نُخبتهم خلف الملذات

عروشُهم أورثتْ عاراً لأمتنا وأنهكتها بأنواع الهزيمات

كم هبت الشام يا قومي لنجدتكم وكم تسابق فرسان الفتوحات

فلم يغضوا عن المكلوم طرفهم ولم يضنوا بأرواح أبيات

قلوبهم تسمع الشكوى وإن بعدت فيهرعون على بعد المسافات

ما بالكم تحسبون الظلم مكرمة وتنعمون بأكناف الإهانات

كأن شيبان ما كانت عشيرتكم ولا ركبتم على ظهر المغيرات

أعياكم الذل حتى بات حلمكم حلم الذباب بأكياس النفايات

أليست الشام أرض الأنبياء وقد عاشت بمحرابها كل الديانات

منها انطلقنا إلى الدنيا نحررها من الظلام بأنوار الهدايات

يا شام أهلك جند الله ما ألفوا ذلا وما ركنوا إلا لميقات

ما همهم أن تداعى نحوها أمم أو أن تكالب أصحاب الضغينات

يا شام صبراً فمازالت مشاعلنا تنير في كل يوم ألف مشكاة

رجالك اليوم كالطوفان قد نفروا لنصرة الحق في كل المكانات

والله ينصر من هبوا لنصرته ومن تمسك في حبل السماوات

أجل سنهدم عرش الحاقدين ولن يلوي سواعدنا جمع الحثالات

وندفع الذل عن أهلي وعن وطني وسوف نرفع فوق الشمس راياتي

أنثى من الماء

الشاعر حسين أحمد الحسين

لَيْلَانِ واتَّحَدَا يَحدُوهُمَا الأَرَقُ ... شِعرِي وَشَعرُكِ والمِصباحُ والوَرَقُ
قَمْحُ الضَّفَائِرِ شَلَّالٌ يُحَاصِرُنِي ... يُغَالِبُ المَوْجَ رَشْفُ المَاءِ والغَرَقُ
عَيْنَاكِ .. دَفْقُ رَبِيعٍ هَزَّ أَزْمِنَتِي ... وجَنَّتَانِ جَنَاهَا الرَّمْشُ والحَدَقُ
مُدْهَامَتَانِ إذا كَفْكَفْتُ ظِلَّهُمَا ... أَنَامِلُ الشَّوقِ في كَفَّيّ تَسْتَبِقُ
خَدَّانِ وانطفأا لَمَّا هَمَى غَسَقٌ ... في طَفْرَةِ البَوحِ يَصحُو فِيهِمَا الألَقُ
هَلَّتْ منَ الغَيبِ تَسْرِي وَهْيَ مُشْرِقَةٌ ... تَلُمُّنِي وَطَنَاً أَسْوَارُهُ مِزَقُ
أُنْثَى مِنَ المَاءِ تَجْري في عُبَابِ دَمي ... مِن عَبقَرِ الشِّعرِ في عَينيَّ تَنْبَثِقُ
أُنْثَى مِنَ المَاءِ أَنّى زَمَّنِي ظَمَأٌ ... سَحَّتْ فُرَاتَاً على كَفَّيّ تَنْزَلِقُ
تُزَمْزِمُ الشِّعرَ نُوَّارَاً على شَفَتِي ... فَيَسْجُدُ الحَرفُ لَمَّا يُشْرِقُ الفَلَقُ
تَنَفَّسَ الوَردُ فِيهَا كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... يُسَبِّحُ اللهَ في آيَاتِهَا العَبَقُ
تَبْكِي وتَضْحَكُ غَيمَاً هَلَّ بَارِقُهُ ... بَرقَاً يُبَسْمِلُ في أَهْدَابِهِ الغَسَقُ
سِتُّونَ عَامَاً ومَا زَالَتْ تُرَاوِدُنِي ... وَغَلَّقَتْ خِدرَهَا الأَشْواقُ والطُّرُقُ
أَعْتَدْتُ مُتَّكَأً في صَرحِ أَورِدَتِي ... فَسَالَ مِن كَفِّهَا التُّفَّاحُ والحَبَقُ

أَوقَدتُ كُلَّ تَبَارِيحي تُسَامِرُنِي ... شَمْعَاً على دَمعِهِ الأوجاعُ تَصطَفِقُ

أَيْقَظْتُ أنْدَلُسَاً في وَجْهِهَا فَصَحَتْ ... شَمْسُ العُصُورِ وَمَاجَ الشَّهْدُ والشَّفَقُ

خُيُولُ عُقْبَةَ تَجْرِي في تَرَائِبِهَا ... وَسَيفُ طَارِقَ في الخَدَّينِ يَأْتَلِقُ

تَفُوحُ شَامَاً وَصُبْحُ اليَاسَمِينِ هوىً ... بَوحُ المآذِنِ بِالتَّذْكَارِ يَخْتَنِقُ

تَمِيسُ بَغْدَادُ فِيهَا كُلَّمَا خَطَرَتْ ... نَخْلاً بِعُرْجُونِهِ الأقْمَارُ تَتَّسِقُ

قَبَسْتُ مِنْ نِيلِهَا ضَوءَاً يُؤانِسُنِي ... فَجَاءَ يَسْكُنُني مِنْ لَيْلِهَا الأَرَقُ

أَرسَلْتُ هُدْهُدَ أحلامِي إلى سَبَأٍ ... فَعَادَ مُرْتَجِفَاً يَجْتَاحُهُ القَلَقُ

فَعَرْشُ بِلقِيسَ مَرصُودٌ بِذِي يَزَنٍ ... وَسَدُّ مَأرِبَ بِالأَعرابِ يَنْفَلِقُ

طَفِقْتُ أَخْصِفُ من جَنَّاتِهَا وَرَقَاً ... فَغَابَةُ العُمْرِ بِالأَوطَانِ تَحتَرِقُ

المطالع

الشاعر طالب سليمان الشنتوت

بَقـدرِ جمالِ البوحِ تَسـمو المَطَالعُ ... وَ تُنبيـكَ عنْ حجـمِ الجراحِ المدامعُ

عظيـمٌ هطـولُ الشـعرِ مِثلَ سـحابةٍ ... إِذَا مَسّـها بـرقٌ مِـنَ الشـوقِ لامعُ

كأنَّ بنـاتِ الشـعرِ حـينَ تَـلألأتْ ... بـدورٌ أُزيلـتْ عـنْ سـناها البراقـعُ

فَتحملـكَ الأحـلامُ فـوقَ عُروشِـها ... و تسـقيكَ مـنْ عذبِ البيـانِ المنابعُ

و تُلـقِي بكَ الأشـواقُ في حُضْنِ ضِفةٍ ... يُغازِلُهـا الصفصافُ و البدرُ سـاطعُ

كأنّ انعـكاسَ النـورِ فـوقَ مياهِهـا ... على وجنـةِ المشـتاقِ خـالٌ و طابـعُ

و تُهـدي إليكَ الشـهدَ بِكرُ عرائشٍ ... تَدلـتْ قُبيـلَ الجني و القطـفُ يانعُ

تَشْـتَمُّكَ الآفـاقُ كالأمِ لابنهـا ... و وتشـتاقُكَ الشـطآنُ و الموجُ راجعُ

نَجـوزُ سـماءَ الصـبرِ صـبراً وَ إِننـا ... لتَرهَبُنـا يـومَ اللقـاءِ القواطـعُ

نُلامِـسُ مـاءَ البحـرِ يَحلـو و كَفُنـا ... تفيـضُ إذا كـفُّ السـحابِ تُمانِـعُ

نُـسِرُّ لخـدِّ الأرضِ نَجـوى لواعـجٍ ... سُـجوداً فَتُصغي في السـماءِ المسـامعُ

فمِنْ ياسـمينِ الشـامِ هاتـوا قميصَهُ ... ليرتَـدَّ نـورٌ حجَّبتـهُ المواجـعُ

تَجلَّـتْ بِبعـضِ النـاسِ بِضـعُ مَكارمٍ ... و نحـنُ لِـكلِّ المكرمـاتِ المراجـعُ

إِذَا أَغـوتِ الدنيـا أُناسـاً بِزيفِهـا ... نُطلِقُهـا حـتى تمـوتَ المطامـعُ

وَإنْ أَبـدَتِ الحربُ الضروسُ نُيوبَها ... بَرزْنَـا لهـا كالمـوجِ إذْ يَتدافـعُ

إذا ضَفَّـرتْ بغـدادُ عُـرفَ فُراتِهـا ... تَرَانـا بسـاحاتِ الشـآمِ نُبايِـعُ

مـضى نصفُ قـرنٍ و العجـافُ مُقيمةٌ ... تُذيـبُ سـنينَ العمرِ فيهَـا الفواجعُ

فَـلا الفجـرُ يَدنو بارقَ الثغرِ بَاسـماً ... وَ لا القوسُ مَشـدودٌ وَ لا السـيفُ قَاطِعُ

فَيَـا مـنْ تَـرومُ المجـدَ منْ غـيرِ هِمَّةٍ ... لَعمـرُكَ لـمْ يلـقَ البطولـةَ خانـعُ

لقـدْ آنَ للصبـحِ الدمشـقِيِّ أَنْ يُـرَى ... وَ يمنـعَ ليـلَ الظلـمِ و الـشرِ وازعُ

لَصمصامـةٌ في الحربِ يَعلـو صَليلُها ... أَحـبُّ مـنَ الدُنيـا إذا الـرأسُ خاضعُ

مَآذِنُنـا فـوقَ البـلادِ بَيـارقٌ ... وَ أخلاقُنـا قـدْ هَذبتْهـا الجوامـعُ

لنـا الصولةُ الكُـبرى وَإنْ طـالَ بُعدُها ... فللحـقِ فرسـانٌ و للـشرِّ رادعُ

هَـوى عـرشُ كـسرى، ليـسَ للظلـمِ صولة ... تُـدارُ إذا ثـارَ الحسـامُ المانِـعُ

نَجـوعُ و نَعـرَى و النفـوسُ أَبيـةٌ ... و نُثمِـرُ جـوداً إنْ أتَى الـحيَّ جَائِـعُ

أَيَـا صبـحُ قدْ طالَ البعـادُ فَعُدْ لَنا ... فأنـتَ كَفُلِّ الشـامِ لا شـكّ رَائِعُ

سـيأتيكَ منْ أَقْـصَى المدينةِ ضَاحِكاً ... وَ عِطـركَ فـواحٌ وَ وَجهـكَ سَـاطِعُ

طَوينَـا جـراحَ العُمـرِ ثُرْنـا وَإننـا ... عـنِ الحـقِ في كُلِّ البـلادِ نُدافِـعُ

فَأَعظَـمُ مَـا في العمـرِ وَقْفَـةُ فارِسٍ ... يزلـزلُ عـرشَ الظلمِ و هـوَ يُقارِعُ

رؤى وأطياف

الشاعر محمد نادر فرج - أبو همام

إنّـا تَهيـجُ بنـا الأَشـجانُ، تغمرُنـا ... شَـوقاً لِأطيـافَ عاشَـتْ في حَنايانـا

تَهفـو لهـا الـرُّوحُ. تَشـكو هَـمَّ غُربتِنـا ... وتسـتفيضُ حَنينـاً. لـلّذي كانـا

نَبـكي جَـواً ورِيـاحُ البَـينِ تَغمرُنـا ... في غَمـرةِ الوَجـدِ أَشـواقاً وتَحنانـا

يـا صُبحُ. هـلْ فـاضَ فيـكَ الفَجرُ مُبتسماً ... مـعَ النَّسـيمِ يواسـينا ويَرعانـا.؟

وهـلْ لهُ هَمسـاتٌ كالنَّسـيمِ على ... تلـك الرُّبـوعِ يُنـاغي القلـبَ. وَلهانا.؟؟

مـا أجمـلَ الحَـورَ يُهـمي بالحَفيـفِ على ... تلـكَ الضِّفـافِ بـهِ تَرجيـعُ نَجوانـا

ويَصـدحُ الطَّـيرُ أنغامـاً لهـا شَـجَنٌ ... تغـازلُ الفَجـرَ مَسـحوراً ونشـوانا

ويهمـسُ النَّهـرُ في النَّجوى كَدَفـقِ صدىً ... يلامـسُ الأفـقَ فيَّاضـاً ليلقانـا

ويسـتفيضُ حنينـاً في ذُرى خَـلَدي ... طَيفـاً يمـورُ إذا مـا عَـزَّ لُقيانـا

يـا قلـبُ هـذي طُيـوفُ الفَجرِ ساهمةً ... تثـيرُ فيـكَ أَعاصـيراً. وأَغضانـا

فاضَـتْ مـعَ الشَّـوقِ والنَّجـوى على حُلُمٍ ... له أعـدَّتْ حَنايـا القلـبِ أوطانـا

فهاجَـهُ الوَجـدُ مـن فَيـضِ الحَنـينِ وكَمْ ... أَذرى بـهِ البُعـدُ، أَورى فيـهِ نيرانـا

كـمْ ذا أُنـاجي مـعَ البَدرِ الجَميـلِ رؤى ... طيـفٍ تَمهَّـدَ في الأغضـانِ أركانـا

في كلِّ بارقــةٍ ألقــاهُ يَغمــرُني حبّــاً. ويحفــزُ بي عزمــاً. وإيمانــا

لا زلــتَ يــا أبــتي روحــاً تحلِّــقُ بي في جنــة الخُــلدِ، بالرُّضــوانِ يلقانــا

ولا نــزالُ على أُفــقِ الرُّبــوعِ سَــناً فيهــا نُنــاغي الرُّبــا رَوضــاً. ووِديانــا

هاجــتْ لدى الصَّــبِّ في النَّجوى طيوفُ رؤىً تَطــوفُ فيــهِ مــعَ الأَحــلامِ أزمانــا

قــدْ أَوقَــدَ البُعــدُ في رحْــبِ الخَيــالِ مُــنىً تهيــجُ فيــه مــنَ الأشــواقِ بُركانــا

هــلْ ســوفَ تُســعفُهُ الأقــدارُ مُشــفقةً ونَلتــقي في رُبــا الأوطــانِ إخوانــا

كــمْ ذا يَتــوقُ فــؤادي ســاهماً وَلهــاً إلى الرُّبــوعِ. فنلقاهــا وتلقانــا

يــاربُّ ليــسَ لنــا إلاكَ يَرحمُنــا وأنــتَ وَحــدكَ مــن نُفضيــهِ شَــكوانا

طفولة منسية

الشاعر عمر كرنو

طالتك أحداث الزمان ولم تزل ... حدثا فهلا أمهلتك قليلا

وحملت أعباء تنوء بحملها ... قم الجبال فكم حملت ثقيلا

كنت ابن عشر حين طار شرارها ... واليوم في العشرين صرت طويلا

يا للطفولة في براءتها قضت ... عهد الطفولة أنة وعويلا

طفل رأى ظلما بلا سبب ولم ... ير قاتلا بعدالة مقتولا

ما ذنبه إلا بأن ضميره ... حي ولم يرض الحياة ذليلا

أودعتموه بخيمة ووعدتموه ... بأن تلاقوا للغراب بديلا

هذي الخيام برغم قسوتها حوت ... خلف الستائر في العراء فحولا

أتريد قهر عزيمة لم ترتعد ... يوما فكيف وأنت بت عليلا

أتدنس الأرض الطهور بثلة ... حمقاء تشبه في الجسوم عجولا

هذي البلاد عزيزة برجالها ... سل إن أردت الصارم المصقولا

إن حول التاريخ عنا طرفه ... لرأيت سرد الحادثات خجولا

ما المجد إلا نحن أو من دار في ... فلك نكون به عليه دليلا

سيزيف

الشاعر عبد الباسط عليان

سيزيفُ . .

يا سيزيفُ

كم سيموتُ

بعدكَ

من يحاولْ !!

يا أنتَ !

كم ستنوءُ بعدَكَ

مِنْ

كواهلْ

ها أنتَ أنتَ فكمْ ستبقى

دونما أملٍ

تحاول !!

جربتَ تحملُ خيمةً

و حقائبًا

تتزاحمُ الأحلامُ

و الآلامُ

و الخيباتُ

و الأشعارُ داخلها

و قلبًا مثلها

في الحب

أو في الحربِ

جاهلْ

جربتَ أن تمضي إلى غدك التعيسِ

بكل ما أوتيتَ

من أملٍ

و ظهرُ الحظِّ

مائلْ

و حملتَ سيفَكَ أدهرًا

حتى انحنى

يا لانحناءات

السنابلْ !!

جربتَ تحملهُ
و تجري فوق أعواد المشانقِ
شامخًا كالنارِ
في رأس
المشاعلْ
لا بأسَ بالسّوريّ أن يبقى
على أملٍ يدثّرُ فيه
آلاف
الدمامِلْ
لا بأس أن يبقى طريدًا
أو شهيدًا
لا يساومُ
لا يخاتلُ
لا يجاملْ
لا بأسَ إن سارتْ حكايتهُ
بعيدًا
عن
مساراتِ
الجداولْ
مادامَ منْ في الكون

مقتولًا
و قاتلْ
مادام يخفقُ في جناحاتِ النّسورِ
محلقًا
وتدورُ في كفّيهِ أرضٌ
و الكواكب خلْفَهُ
تعدو
و من عينيهِ تنبجسُ
الأيائلِ

شعبٌ أنا

الشاعر محمد أحمد عز الدين

عبثـاً تحـاول أن تميـت نضـالي ... وتعيـد خلـف الشـمس حـرّ مقالي

سـأكون فـوق الغيـم مهمـا خنتـني ... وتكـون مهمـا طـرتَ تحـت نعـالي

فأنـا مـن الأحـرار بعـض رسـالةٍ ... محروقـة الأطـراف للأنـذال

وأنـا سـحاب الخـير للمـرعى، أنـا ... الزهـر الجميـل لسـلة العـذال

وأنـا رغيـف الخـبز للجـوعى، أنـا ... الكبـش الذبيـح لأمـة الأنفـال

شـعبٌ أنـا، حيّ الفسـائل، مـترعٌ ... بالخـير والأفـكار والأفعـال

في جيديَ الشـمس الصبـوح تألقت ... والنـور في القمـراء بعـض هـلالي

مـن قاسـيون أقـدّ قلـب عزيمـتي ... ومـن الحديد أشـيد حصـن خصالي

وعلى جـدار المـوت كانـت صرخـتي ... تـلد الجهـات، مـن الجنـوب شـمالي

في حمـصيَ الدهـر الطويـل هنيهـةٌ ... والسـاعة الحمـراء قـرن نـزالي

غاب الشـمال بسـيفه ورصاصـه ... صـوت النواعـير الرخيـم ببـالي

والديـر مـنزول الأكابـر شـامخٌ ... برشـيده وعقـاله الميّـال

لا شيء يشـبه إدلـب الخـضراء لا ... لا شيء مثـل حسـيبها الكيـالي

هـذا أنـا تـرس الزمـان ونصلـه ... أمـشي على الأعنـاق غـير مبـال

رسولُ الأملْ

الشاعر أكرم عطوة

سيأتيْ مُتأخراً .. لكنّه سيأتيْ
كمطرٍ من بعد جفافْ
كزيتونٍ يَنتظرُ القطافْ
سيأتيْ مُتعباً .. لكنّه سيأتيْ
كفارسٍ يَمتطيْ المستحيلْ
يُعانقُ الغيمة .. كالنخيلْ

ذاك الذي انتظرناه في برد الشتاءْ
في العراءِ ..
وفي الرمضاءْ
في خيام اللجوءِ
في غرف الجوعِ
وفي بيوت الفقراءْ
في أقبية السجونِ ..
وحين تُغلق العيونْ

سيأتيْ قبل أنْ يأتيْ الصباحْ
وقبل أنْ تَخرج الشمسُ من زنزانة الموتى
ومنْ قصور الأمراءْ
سيأتيْ حاملاً قَبساً .. من نورٍ لا ينطفئْ
يُضيءُ شموعنا المطفأةْ
ويَمسحُ دموعنا المختبئةِ
في أعين الأطفالِ ..
في غضب الكبرياءْ
يَتخطى حاجز اليأسِ
جدار الخوفِ
فلسفة الجبناءْ
عُروش الذُلِّ
حصون الغرباءْ
يَنتزعُ الثورة من عجزها ..
من قيدها

سيأتيْ .. سيأتيْ

ومن تَسلّط الأخوة الأعداءْ

وحينما يأتيْ

من المتهالكين على مقعد وهمٍ

ستأتيْ للظالمين .. ساعةُ الأجلْ

عند أقدام قيصرْ

من الصاعدين على جماجم الشهداءْ

سيأتيْ .. وإنْ تأخرْ

ليَنتزع وردةً حمراء من رايةٍ خضراءْ

ليلتحمَ مع عَلَم الوطن المجزّأ

في خارطة الطريقْ

في سياسة التمزيقْ

ليلتحمَ مع عَلَم الوطن المتوحّد فينا ..

كشريعة السماءِ .. كعزيمة الأنبياءْ

لن تستطيع رياح المساءِ

أن تُطفئ نوراً وصلْ

لن تستطيع عيون السلاطين

أن تَهزم رسول الأملْ

سيأتيْ مُتعباً .. بِلا كسلْ

سيأتيْ مُتأخراً .. بِلا كللْ

سيأتيْ مُبتسماً .. بِلا خوفٍ

بِلا وجلْ

جوع الفجر

الشاعر صلاح العيسى

بدارِ العُربِ يحيا الجوعُ
والفقرُ..
يحُلُ الظلمُ...
والأكدارُ ...
والعسرُ....
ينامُ بساحِها القهرُ
يجوعُ الطيرُ ...
والأحجارُ...
والإنسانُ..
والفجرُ..
فكم في الدارِ من غصنٍ يفوحُ بجوفِهِ الخيرُ
أتُرضيكم دموعُ الطفلِ
والنسوةْ...
تموتُ كرامةُ النخوةْ..
بكلِ مغارةٍ نعوةْ..

شكتكُم أرضُنا العربيةُ الخضراءُ في المهدِ...
فأنتم من جعلتم شكلَها حمراءَ في اللحدِ...
توارثتُم جرائمَكُم فمِن وغدٍ إلى وغدِ...
دَفنتُم عِزةَ التاريخِ و الأحقابِ و المجدِ..
وهِنتُم في هوانِ الأختِ في القيدِ..
وفي الصُندوقِ قد كنتُم كما الخِرفان ..
سوادَ القلبِ لن تلقاهُ مختبأً مع الأزمانْ..
وقطرُ الماءِ فضاحٌ لما في داخلِ الألوانْ..
فهل خِلتُم بأنّ عروشَكم تبقى..؟
بحقِ اللهِ هل فرعونُ أو هامانُ أو نيرونُ
عاشَ العيشةَ الأنقى..
فهل أنتُم سوى حمقى ..
فهُم في القبرِ قد ناموا..
وما أخذوا من الدنيا
سوى كفنٍ به داموا.

سقط النصيف

الشاعر محمد كمال قجة

ماذا دهاك تكابد الألم العنيف ... ويكابد الجرح المدمى بالنزيف

ماذا جنيت على المدى غير القصا ... ئد فارتمت لتلم أحزان الخريف

ترك الصدى دنياك تطويها الريا ... ح أما تحرك ساكن بين الحفيف

يروي تجاعيد الحياة يهيم في ... وجل يحدث في المأسي يستضيف

عاما يضاف لحزنك الدهري والـ ... أوجاع تنبض بين آهات الحروف

أرخى الظلام سدوله ومضى يعشـ ... ـشش في الخرائب لا جدار ولا سقوف

هل تسمع الشهقات كم غصت بحلـ ... ـق يستغيث بظلمة الليل الكثيف

يؤوي جراح الميتين المتعبيـ ... ـن على المعابر والمفارق والكهوف

والريح تمتشق السحاب تراود الشجر ... المسافر في رحى الهجر المخيف

وشوارع المنفى يضج بها الشقا ... ء ونظرة دونية أنتم ضيوف

والصمت يطبق لا أنيس ولا ندا ... ء سوى الفواجع والمذابح والحتوف

ماذا عن الوطن القتيل أليس من ... حر ينادي أوصديق أو حليف

ويلاه يا وطني المباح المستبا ... ح لكل لص لا معين ولا رديف

أرنو إلى شعب تمزق ليته ... يلقى جدار يستر الجسد الضعيف

تاه الغريب على الدروب تنوشه الـ ... أحزان تغمره المآسي يا لطيف

وأكاد أسـمع قهقهـات الوغـد يعـ ـبث بالكلام كأنه القـرد الظريف

يسـتضحك الجمهـور بالعنـق الطويـ ـل لذلك المهبول بالقول السـخيف

نـم يـا غريب على الرصيـف لعل جر حـك ينتـشي كالياسـمين على الرصيف

نـم يـا حبيـب على الرصيـف فربمـا لـك مـن خضـاب الغيـم والسـيل الكثيـف

لا تنحـني الأشـجار إلا للعطـا ء تظـل حـين الموت شـامخة الوقوف

نثرية (قابَ قوسَينِ أو أدنى (١))

الشاعر صالح أحمد كناعنة

اليومَ تَتَكَلَّمُ الأَيدي مُعَبِّرَةً عَن قَناعاتٍ؛ عادَت لتُشَكِّلَ الرُّؤَى...

آنَ لِيومِنا أَن يَضحَكَ؛ بَعدَ أنْ جَرَّدوهُ مِن حَيَوِيَّتِهِ زَمَنًا،

وَقَد عادَتْ لَتَزورَهُ الأمطارُ .

كُنتُ أَتَكَلَّمُ إلى لَيلِي الَّذي «ناءَ بِكَلكَلٍ»،

وأَشُدُّ أَمراسي إلى صُمِّ جَندَلٍ في تُخومِ بَلادَتي،

في محاولَةٍ مِنّي لِسَحبِ رَصيدي مِنَ التَّثاقُلِ؛ لأَمضي...إذا ما تَسَنّى لي أَخيرًا أَن أمضي ...

خَفيفًا إلى ما يُشَكِّلُ أُمنِيَةً؛ وَجَدَتْ أخيرًا روحًا لِتَسكُنَها .

***

اليومَ؛ أَصبَحتُ لِأَجِدَ لَيلِيَ مَطروحًا ...

وَيَدي تُشيرُ إلى السّاقِيَةِ البادِيَةِ مِن ثُقبِ خَيمَتي الْمُتَآكِلَة...

وَأَحُثُّ ساقَيَّ لِتَجُرّاني بَعيدًا عَنِ الأَماكِنِ الواطِئَة .

اليومَ؛ أصبَحتُ، وَلَم أَجِدْ في نَفسِيَ رَغبَةً لِذِكرِ لَيلى، وأَطلالِ عَشيرَتِها، وعِزوَتِها، وَقد رَحَلوا ...

وما أَكثَرَ الرّاحِلينَ، وَكُلَّما تَراكَمَ الضَّجَرُ، شادّينَ الرِّحالَ مِن قاعٍ إلى قاع.

***

كانَ المَطَرُ يَغسِلُني؛ حينَ كانَت قَدَمايَ تَجُرّاني عَلى طَريقٍ لَم أَجِدْ لَهُ مَكانًا في الذّاكِرَة .

عَجَبًا! صَرختُ ؛ وَصوتي لَم يَعُد مِن هُناك !

خَوفي مِنَ الصَّدى البَعيدِ، لَم يَسُدَّ طَريقي إِلى الحياة .

تَأَمَّلتُ الطَّريقَ؛ وَكما لَم أَتَأَمَّلْ طَريقًا مِن قَبلُ ...

وَحيثُ كانَتِ الأَيامُ تَتوالى، والأَنفاسُ تَتَقاطَعُ.

تَأَمَّلتُ طَريقي... حَيثُ لَم يَعُد لِلكَلامِ مِيزةً.

وَصَعَدْتُ... لا تَستَوقِفُني الكَلِماتُ مُجَرَّدَةً عَلى القارِعَة .

ناسِيًا مَنسِيًا كُنتُ أَسيرُ إِلى نَهارٍ تَذَكَّرَني !

والحياةُ تَسودُ مِن حَولي، حامِلَةً عَواصِفَها الَّتي جَرَّدوني مِن جَراءَتِها زَمَنًا طَويلا.

***

ها هِيَ الأمطارُ تَهطُلُ ...

والليلُ يَستَلقي عَلى السّابِلَة.

النّارُ تُداعِبُ قَلبي ،

وأنا أستَعيدُ الطَّريقَ، مُتَجاوِزًا كُلَّ مَلامِحِ الْمَنفَى الأَخيرِ .

تَنشَطُ الذّاكِرَةُ مِن جَديدٍ ،

تُلبسُني ثَوبَ مَزاياها الأَخيرَةِ ،

والمَطَرُ الّذي أَحَبَّني يَومًا؛ يُعيدُ نَشرَ بَصَماتِهِ .

أَخلَعُ عَنّي مَلامِحَ النَّهاراتِ الذّابِلَةِ ...

أضحَكُ مِن تَخاويها، ومن ظِلال فَراغِها .

***

لا يَكادُ المَطَرُ يَبْرَحُني ...

فَما خِفتُ... وَلا اختَفى!

أَجري إِليهِ، ويَتبَعُني.

ضاحِكًا، مُضحِكًا !

لا يَرجوهُ اللَّيلُ، ولا تَصُدُّهُ الحياةُ !

وأنا أطلُبُهُ ؛ ظِلاً لِحَياتي الّتي خَلَعَت فَراغَها .

***

أَسرَعَ مِمّا يَبدو تَتَقَلَّبُ الحياة .

ما عادَ المَطَرُ لِيَخنُقَني؛ كَدُخانٍ أَطلَقَهُ الماضي .

يُشبِهُني مَطري هذا اليَوم .

تُشبِهُني دَمعَةُ مُشتاقٍ لِبُلوغِ اللّهفَةِ؛ بِنَهارٍ أَنهى لَمَلَمَةَ عَباءَتِهِ ؛

أَهداها لِعَواصِفِ قَلبٍ ؛ بِكيانٍ مَنسِيِّ الرّقدَةِ .

***

أسرَعَ مِمّا يَبدو تَتَقَلَّبُ الحياة .

ما عادَ المَطَرُ لِيَحبِسَني...

حَرَّرَني مَطري هذا اليَوم !

فَرَكَضْتُ... كَروحٍ وَجَدَت ضالَّتَها ؛

تَرَكتُ حِكاياتي خَلفي.

أَجتازُ نَفسي...

أذوبُ في وَهَجِ النَّهار.

***

أسرَعَ مِمّا يَبدو تَتَقَلَّبُ الحياة !

مُنفَرِدًا، ضاحِكًا، جَلستُ أَتَكلَّمُ إلى النّهار ...

أمدُّ البَصَرَ، أشُدُّ الخُيوطَ... إلى النّارِ تُداعِبُ أرواحَنا، تَشدُّ رِحالَها مَعنا،

إلى حَيثُ يولَدُ يَومٌ جَديدٌ، مَطَرٌ نَبرَتُه عالِيَة .

بِخَيطٍ يَشُدُّ الرُّجوعَ الأَكيدَ،

يَجعَلُ الأَيدي مُتَكَلِّمَةً،

تَرمي إِلَينا طُقوسَنا،

وأَسرَعَ مِمّا يَبدو نَعودُ؛

طُفولَةَ فجرٍ؛ دِماهُ النَّدى ،

ونَداهُ الإشارَة .

رابعًا

القصة

مدينةُ الأرواحِ الذَّابلة

بقلم: أسامة آغي

كانتْ ثمّةَ شطآنٌ تتزيَّنُ بالحَوْرِ وأشجارِ الغربِ والطّرفةِ، وقربَ الشّطآنِ، كانتْ بساتينٌ تضجُّ بأشجارِ التُّفّاحِ الصَّغيرِ والمشمشِ البلديِّ وحكاياتِ الجدّاتِ عنْ ساحرةٍ إذا نظرتْ إليكَ ستصيبكَ رعشةُ روحٍ، وتصيرُ عصفوراً، وربّما حكايةً منسيَّة.

كانَ النّاسُ يمرُّونَ في الشَّوارعِ المكشوفةِ أمامَ سياطِ الشَّمسِ، فتهدلُ منْ بعيدٍ حناجرُ تبتدعُ «الموليا»، والموليا كانتْ ذاتَ يومٍ صبيَّةً نافرةَ النّهدينِ، جميلةَ المُحَيّا، لكنَّها في لحظةِ غضبٍ، صارتْ مواويلَ عنْ وجعٍ وعشقٍ وانتظارِ حصادٍ.

الموليا هي روحُنا يا ولدي، قالَ لي ذلك أبي الّذي ماتَ قبلَ احتلالِ الذِّئْبِ للغابةِ.

وقلتُ لنفسي: الموليا هي من طينِ الفراتِ وقتَ الفيضانِ، ومن جُرحِ عشتارَ، وهي تمرُّ حزينةً على ما جَرى لماري.

لكنِّي لا أعرفُ كيف اختلطتِ المدنُ لديَّ، فديرُ الزُّورِ تشبهُ ماري، وهي أغرقَها البكاء.

وديرُ الزُّورِ لم تراقصِ العسكرَ الفرنسيَّ في حانةِ الموتِ المرميَّةِ قريباً من ضفافِ النّهرِ الصَّغيرِ، ولمْ ترمِ بأوجاعِها في الماءِ، في وقتٍ كانَ أبناؤُها يعشقونَ عبورَ النّهرِ الكبيرِ، وهمْ يرسمونَ على صفحةِ الماءِ أفقَ قادمِ الأيَّام.

لكنَّني، حينَ ولجتُ المدينةَ بخفَّةِ الظِّلِّ، وكان برفقتي رجلٌ عجوزٌ، يضعُ على

رأسِهِ طربوشاً أحمرَ، ضَحِكْتُ ملءَ حارتينِ منْ وجعِ أزهارِ عبَّادِ الشَّمسِ، وقلتُ للعجوزِ: أنتَ شاعرُنا الجميلُ، ولكنْ قُلْ لي كيفَ حدثَ هذا الدَّمار؟، وقلْ ليْ مَنْ رسمَ النهاياتِ له؟.

نظرَ الشَّاعرُ العجوزُ في الأفقِ، وهو يتأمَّلُ بحزنٍ بيوتاً تداعتْ وتهدَّمَتْ، وشوارعاً أغلقتْها أكوامُ الحَجَرِ والخَشَبِ، وجثثاً مجهولةً حرقَتْها طائراتٌ عبرتْ منذُ حينٍ سماءَ المدينةِ.

قالَ الشَّاعرُ العجوزُ وكانَ اسمُهُ «محمَّد الفُراتي»: هذهِ ليستْ حرباً يا صَديقي، بلْ هيَ سحْقٌ لكلِّ شيءٍ حيٍّ، ويبدو أنَّهم يكرهون الحياة.

محمَّدُ الفراتيُّ الَّذي كانَ برفقتي، غابَ في لحظةٍ عن عيني، فارتَسَمَ في الأفقِ رتلٌ طويلٌ من عسكرٍ، يحملُ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً لم أتبيَّنْهُ مِنْ مكاني.

اقتربتُ منهم كظلٍّ باهتٍ، كانتْ وجوهُهُم خشنةَ الملامحِ، وثيابُهُم مغبرَّة، وعيونُهُم تبوحُ بفوزٍ صغيرٍ، كفوزِ طفلٍ بقطعةِ حلوى، اختلسها في لحظةِ انشغالِ بائعِ الحلوى بقامةِ امرأةٍ ميَّاسةِ القَدِّ، عبرَتْ منْ أمامِه.

قلتُ لنفسي و أنا أمرُّ قريباً من رتلِ اللّصوصِ: ينبغي أن أتفقَّدَ حالَ بيتي.

كانتِ المدينةُ لحظةَ اقتحاميَ السّرّيِّ لها خاليةً من النَّبضِ والناسِ والقطط المنزليَّةِ، وكانتْ رصاصاتٌ تئزُّ فوقَ رأسي وتنبئُني، أنَّ قنَّاصاً لا يزالُ يتشبَّثُ بأيِّ شيءٍ يتحرَّكُ ليصطادَهُ. همسَ ليْ صديقي الشَّاعرُ محمَّدُ الفراتيُّ: سنتحدَّثُ بصوتٍ خفيضٍ، كي لا تصطادَنا عيونُ القنَّاصين.

قلتُ للشَّاعرِ: لستُ خائفاً. ضحكَ الشَّاعرُ وقالَ لي: بلْ خائفونَ وأكثر، ولكنْ قلْ ليْ لماذا يمرُّ النَّهرُ حزيناً، شحيحَ الصَّفاءِ، كثيرَ الكَدَرِ؟.

لمْ أكُ لحظتئذٍ، أمتلكُ جواباً مُقنعاً، أو فكرةً عن ضوءِ القمرِ، حينَ يغسلُ ضياؤُهُ ذؤاباتِ شجرِ الحَورِ، فتتكسَّر الظُّلمةُ قربَ الضِّفافِ.

كانَ عقليَ مشغولاً ببيتي وبحارتِنا، وحينَ ولجناها، كنَّا نَعتلي أكوامَ البيوتِ المُدمَّرةِ، ونهبطُ، كلُّ شيءٍ كانَ غريباً، فالشَّارعُ كأنَّهُ ليسَ الشَّارعَ الَّذي صرفْتُ من عمريَ أعواماً وأنا أعدُّ أبوابَهُ، وأتأمَّلُ زخرفاتِ أبنيتهِ، ووجوهَ أصحابِ بيوتِه.

كنتُ مشدوهاً وربَّما كنتُ ضائعاً. وكانَ الشَّاعرُ الفراتيُّ لا يزالُ يتلو على نفسِهِ قصيدةً جديدةً وُلِدَتْ في التَّوِّ من هذا الدَّمار. قلتُ لروحيَ ربّما كنا نحتاجُ إلى هذا الوجعِ لتغتسلَ أرواحُنا مِنْ أدرانْها. ردَّ الفُراتيُّ عليَّ بغضبٍ وقال: كيفَ تسمحُ لمخيِّلتِكَ أنْ ترسمَ سببَ البلاءِ بهذهِ الطَّريقة؟.

وحينَ وصلْنا إلى البناءِ الَّذي يضمُّ بيتي بينَ طوابِقِهِ اعترتْني موجةُ ضحكٍ مفاجئةٍ جعلتْ عينيّ الشَّاعرِ الفراتيِّ تجحظانِ بشدَّةٍ فقالَ ليْ:

ما الذي يُضْحِكُكَ أيُّها الرَّجُلُ.. قلتُ: شرُّ البَلِيَّةِ!. قالَ: ولكنَّها ليستْ بليَّةٌ بلْ ولادةٌ. قلْتُ بتهكُّمٍ: ولادةٌ مِنَ الخاصِرَةِ، وحاولتُ جاهداً أن أتذكَّرَ مَنْ سمَّى قصَّتَهُ بهذا الاسم.

كانَ بيتيَ بلا شُرفةٍ فلا أحدٌ يعرفُ كيف طارَ إسمنتُها وحديدُها وحجارتُها، لا بلْ كيفَ طارتِ الأبوابُ والنَّوافذُ.. قلتُ للفراتيِّ بإصرارٍ: هذا ليس بيتي. قالَ الفراتيُّ: بيتُ مَنْ إذاً؟.

في تلـك اللَّحظـةِ خَـرَجَ مِـنْ بيـتيَ مجموعـةٌ مِـنَ العسـكرِ وهـمْ يحملـونَ على أكتافهـم أغـراضي.. فرأيـتُ تلفـازيَ وثلاجـتيَ وكتـبيَ ثـم رأيـتُ واحـداً منهـم يـرشُّ سـائلاً بـلا لـونٍ على مـا تبَّـقى ويـرمي بعـودِ ثقـابٍ فيشـتعلُ البيـتُ بالنَّـار.

صفَّقْـتُ للنَّـارِ وهي تلتهـمُ بيـتي بأسـنانِها الحمـراءِ وتذكَّـرتُ حالَنـا حـينَ كنَّـا نـزورُ قبـورَ موتانـا فنشـعلُ الأشـواكَ في ليلـةِ الخامـسِ عـشرَ مـنْ شـعبان.

وحـين التفـتُ إلى مـكانِ صديـقيَ العجـوزِ لأهمـسَ له بصـوتٍ خفيـضٍ لا يسـمعُهُ العسـكرُ وجـدْتُ صديـقي معلقـاً على جـدارٍ وعينـاهُ ترصـدانِ قمـراً لـمْ يـبزغْ بعـد.

زيتون المعتقل وزيتون أم خالد

بقلم محمد الغانم

بتُّ منذ سنوات أتأخّر في فطوري، وهي عادة تكاد تكون مكتسبة ومن وحي وبركات بل- سيئات- النزوح واللجوء نتيجة السهر حتى الفجر.

إنّ فطوري المعتاد لا يخلو منْ الزيتون سيَّما الزيتون الأخضر، ومَنْ مثلي لديه من زيتون المباركة أم خالد، واليوم وبعد تناول إفطاري (تفكهنت) على صحنٍ من الزيتون، ومع الانتهاء بدأت بِعَدِّ النوى فوجدتها (٢٨) وكل ما أحتاجه اليوم إلى خمسٍ أخرى لأصنع منها سُبّحَةً، وهي سُبّحَة قصيرة تعدل إيمانياتي وتقصيري، وليست بالقطع كَسُبّحَة أمي التي يصل عددها (١٠١) نواة.

أترك إفطاري الذهبي وأعود بكم إلى ذكرياتي مع زيتون المعتقل.

للزيتون أيام الاعتقال ذكريات، وسأرسم لكم بالكلمات بعض المشاهدات ولن تكون على الإطلاق ببلاغة الواقع الذي عشناه.

زارنا الزيتون خلال فترة الاعتقال الأخيرة ثلاث مرات، بواقع زيارة واحدة كل شهرين، وكانت بمجملها زيارات سريعة خاطفة يغلب عليها النظر عن بعد.

أذكر مرَّة وقد سئمت من سوء طهي البرغل وهو الوجبة اليومية شبه الوحيدة، وليته برغل أخذ حقه من النار أو زاره وتخلل حباته القليل من السَّمن النباتي أو زيت القطن والصويا أو زيت المعدن أو حتّى ما حرّمه الشرع من شحوم بعض

الحيوانات، أذكر أن الجلاّد إياد- لا حفظه الله- دخل مبتسمًا على غير عادته وبيده كيس من النايلون تسبح بداخله حبّات من الزيتون، وأمّا الماء فلونه أصفر على أخضر ويعلوه العفن بلونه الأسود على أبيض وقام بتسليم العهدة الإيادية إلى اللئيم رئيس المهجع، وما أن أغلق الجلاّد علينا الباب حتى تفتحت أساريرنا ووقفنا فرحين على أرجلنا، ومن شدة فرحنا شهقنا- زيتون يا إلهي-!

تحلقنا حول رئيسنا الخبيث لكنه نَهرَنا بأن عودوا إلى أماكنكم قبل أنّ أنادي على الجلاّد إياد، عُدْنا مكسوري الخاطر، وبعدها بدأ هو بالتوزيع على طريقته بحيث أعطى كل واحد منّا (٥) حبّات من الزيتون وخصّ زبانيته برشوةٍ وإضافات من الفلفل وقشور الليمون كي يكسب وِدَّهُم، وأما ماء الزيتون فقد سمح لنا بأن نَدُسَّ خُبزتنا اليابسة به بحثًا عن الملوحة والحموضة، والسعيد منّا من افتقده رئيس المهجع برشفة أو بقشرة ليمون وإن بدت متهالكة، وهكذا فقد تبخرت فرحتنا بقدوم الضيف الجديد وبقينا ننتظره إلى أن زارنا بعد شهرين، وقبل الخروج ولم تكن زيارته الأخيرة بأحسن حال من زياراته الأولى.

ربما لا تصدقوني إن قلت لكم بأني بتُّ بعد خروجي أعشق الزيتون عشقًا لقداسته أولاً ومن ثمَّ لما ترك في نفسي هناك من ألم وأوجاع.

أعشق الزيتونَ وآلَهُ وأصحابَهُ وماءَهُ وليمونَهُ ونواهُ سيما زيتونات أختي أم خالد.

الشعب يريد

بقلم جهان سيد عيسى

أخرجوا الجميع من المدينة، لم يبقوا فيها أحدا حتى العصافير أخرجوها الناس والمسلحين والحيوانات، فهم قد سمعوا أنه حتى حيواناتهم تصرخ «الشعب يريد إسقاط النظام»... كسروا أعلامهم الخضراء، ومسحوا كل عبارات الحرية المكتوبة على الجدران أربعة أعوام وهم يحلمون باستعادتها، وها هم اليوم قد استعادوها وأخرجوا أهلها وأحرارها منها رقصوا وشربوا وعربدوا ورفعوا أعلامهم الملطخة بالأحمر، وعندما انتصف ليلهم وبلغ سكرهم مداه توزعوا بيوت أهل المدينة وأسرَّتِهم؛ وناموا، وعند الفجر استيقظوا على أصوات تهدر في الشوارع. «الشعب يريد إسقاط الظلام «... ظنوا الصوت صار حلما بل كابوسا.. عركوا عيونهم وأكملوا نومهم، لكن الصوت صار أقوى فزعوا ووثبوا من أسرتهم المسروقة فتحوا الأبواب فإذا الشوارع تغص بجثث الشهداء خرجوا من قبورهم وملؤوا الشوارع وهم يهتفون «الشعب يريد إسقاط النظام الشعب يريد إسقاط النظام»

أنا وجدَّتي والحمار

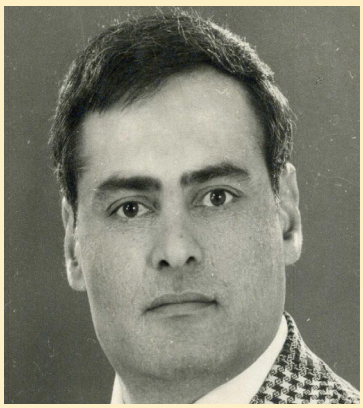

بقلم: د. عيسى ضيف الله حداد

في أعوامِ الخمسيناتِ من القَرْنِ الماضي، كنَّا في قريتِنا في حوران، كانَ لدينا حمارٌ أبيضَ اللَّونِ، قويَّ البُنيةِ، شرسَ الطِّباعِ، له نهيقٌ مميَّزٌ يعرفُهُ القاصي والداني، لم يتوانَ قطُّ عن لَبطي، وغيري من الصِّبْيَةِ، وإلقائي مراراً أرضاً من على ظهرِهِ.

أتى زمنٌ ما قرَّرَ فيه أبي، أنْ يَتَدَمْشَقَ (من دمشق)، وقد ضاقَ ذرعاً بحياةِ الرِّيفِ الحورانيِّ البائسِ، فلا نهرَ ولا شجرَ.. حتَّى ولا مطر.

عمدَ أبي إلى بيعِ ما نملكُ، من عنزٍ وغنمٍ وحمارِنا الفظِّ الطِّباع.

غادرْنا القريةَ، جدتي ودجاجاتُها رفضوا الرَّحيل: ومَنْ يحرسُ الدَّارَ؟!، قالتْ جدتي، وأردفتْ تتمتمُ بصوتٍ خفيضٍ ومِنْ دونِ أنْ تعرفَ شاعرَنا الراحلَ محمود درويش (إنَّ البيوتَ تموتُ برحيلِ أهلها)..

كنتُ متعلِّقاً بعالَمِ قريتي، فيها أعثرُ على نفسي ولا سوى.

في أوَّلِ فرصةٍ مدرسيَّةٍ سنحتْ لي، عدتُ مُسرعاً والغبطةُ تغمرُني، إلى قريتي ومهبطِ رأسي.

بفرحٍ عارمٍ استقبلتْني جدَّتي، ضمَّتْني بحنانٍ، طفِقَتْ تحدِّثُني عمَّا لديها من أخبارٍ وأفكار.

فجأةً تملَّكَها الضَّحكُ، وحين سيطرتْ على ذاتِها، شَرَعَتْ تقصُّ عليَّ أفعالَ ذاكَ الحمارِ الشَّيطان (كما درجَتْ تدعوه)

قالـتْ: صبيحـةَ اليـومِ التّـالي لمغادرتكـم، فوجئـتُ بالحمـارِ على بـابِ الدَّارِ، يدفَعُـهُ برأسِـهِ كأنَّـهُ يـودُّ اقتحامَـهُ، وأخـذَ ينهـقُ ويرفـسُ الأرضَ بحافِـرِهِ، أردفَـتْ تحـكي والتأثُّـرُ بـادٍ على مُحيَّاهـا، دمعـةٌ حـرَّى أو اثنتـين سـالتا.. خرجْـتُ إليـهِ، فتحْـتُ له البـابَ، وبسرعةِ البـرقِ (وكانـتْ قـد اعتـادتْ على هـذا التَّشـبيهِ البديـع) عادَ إلى مربطِـهِ مـن دونِ لأْيٍ، دلـفَ وسـكنَ بحنـانٍ ربَّـتُ على ظهـرِهِ قَدَّمْـتُ لهُ مـا يلـزم.

جـاءَ صاحبُـهُ باحثـاً، وقـد قـدَرَ لجـوءَهُ إلى دارنـا، وحينمـا أرادَ الرَّجـلُ سـحبَهُ بقـوَّةِ الجَـرِّ أدارَ لهُ الحمـارُ قفـاهُ ولبطَـهُ، ونهـقَ، ولـم يكتـفِ بـل أطلـقَ تلـك الفعلـة (أطلـقَ ريحـاً).

لـم يسـتطعْ الرَّجـلُ جَـرَ الحمـارِ، تدخَلْـتُ ربَّـتُّ على ظهـرِهِ، فسَـكَنْ، ثـمَّ قُدْتُـهُ إلى حيـثُ يرغـبُ الرَّجـلُ.

تسـتكملُ جـدَّتي: تكـرَّرَ الأمـرُ في اليـومِ التَّـالي.. وعادَ صاحبُـهُ، وكان مـلّاكاً كبـيراً في القريـة.. لديـهِ الخـيرُ الكثـيرُ.. وقـد قـدَّمَ للحمـارِ كلَّ مـا طابـتْ له نفسُـهُ مـن تـبنٍ وحشـائشٍ وقشـورِ البطيـخِ والعلـفِ والشَّـعيرِ، عاملـهُ بلطـفٍ كبـيرٍ.. وربَّـتَ على ظهـرِهِ، وخصَّـصَ لهُ مربطـاً لائقـاً بفخامتِـه.

لـم يُقـدِّر الحمـارُ مـا حَصَـلَ عليـهِ مـن نِعَـمٍ، وفضـل حيـاةَ التَّقشُّـفِ في مربطِـهِ الأوَّلِ، تكـرَّرَ الحـالُ، وسـارَ على هـذا المنـوالِ، حـتّى يئِـسَ منـهُ صاحبُـهُ.

عَقَـدَ صاحبُـهُ اتفاقـاً ودِّيّـاً مـع جـدَّتي، على أثـرِهِ أصبـحَ حمارُنـا سـيِّداً في عرينِـهِ، يـأتي مربطَـهُ في دارِنـا حالمـا تنتـهي مهامُّـهُ، دَرَجَ الصّاحـبُ على حمـلِ العلـفِ إلى دارِنـا، تقـومُ جـدَّتي بدورِهـا في إقنـاعِ الحمـارِ على الإتيـانِ بوظيفتِـهِ لدى الرَّجـلِ.

قلتُ متلهِّفاً: أينَ هو الآن؟.

قالتْ: في مربطِهِ في التَّبَّان.

مسرعاً قفزْتُ، دلفتُ إلى التَّبانَ، كان مَنظراً رائعاً، نهقَ الحمارُ واستدارَ ناظراً إليَّ، رافعاً شفتَهُ العُليا، كتعبيرٍ ضاحكٍ منه.

للمرَّةِ الأولى كان بينَنا سلامٌ، وربّتُّ وبكيتُ وهمسْتُ في أذنه وذاتي: حمارنا وطنيٌّ مخلصٌ متعصبٌ شوفينيٌ (حسبَ التَّعبيرِ المتداولِ لدى مُروِّجيّ الانبطاح) نحنُ تركنا الدارَ وهو يرعاها.

عندما أتذكَّرُ حكايةَ حمارِنا في أيامِنا هذِهِ تتداعى إليَّ قصيدةُ محمود درويش، مكيِّفاً إيَّاها، قائلاً فيه: لماذا تركتَ الحمارَ وحيداً يا أبي.. والدَّار...!

طيور بلا أجنحة

بقلم القاصة شذا برغوث

كمن يقفُ على سراطٍ أقفُ /أخاف من لجةِ الحزنِ في بحر شوقٍ ليس له قرار.. (إذا ما أشوفكم شيفيد عمري وإذا ابتسم دمعاتي تجري).

/ وحدي أذرفُ دمعاً أكابره/ أتعبني تمثيل دور المثقفةِ المتحضرة القوية (مصيرُ الشبابِ إلى سفرٍ واغترابٍ. المهمُّ أن يكونوا بخير).

أريد أن أكون مثل أمي وهي خلفَ مكنةِ الخياطة تمارس هوايتها المزدوجة وهي تدندن (أتمنى أنا طير وعندي جناح يأخذني وعليكم يوديني.. شلون ارتاح وانتم يا لبعيدين أبد بغيابكم ما نامت العين) ودموعها مطرٌ يبلل ما تخيطُ ويحيرني ارتباطُ الخياطة بالبكاء.

أدوخ من اللفِ والدوانِ في طرقات الحديقة الذابلة.. أتصنعُ التأملَ.. الله الجميل يحوطني بأشجاره الخضراء وقمره الواسع الأحمر وزقزقة الأطفال النازحين الهاربين من صخب الرصاص وغبار الموت إلى صخب المراجيح الصدئة...

*الأولاد المدخنون وأكوام رجال مشعثون يتحلقون على العشب حول ورق اللعب يتبادلون الأحاديث عن المصائب وأمهات صغيرات يحاكين الجمال بخربشات على وجوههن بأحذية مستهلكة ذات كعوب عالية مائلة

* عناصر أمن الحديقة الضجرون يصطادون العصافير بالبواريد ويتجولون

بالموتسيكلات السريعة المزعجة في ممرات الحديقة *السيارة البيضاء بمسجلها ذي الصوت الذي يعلو على صوت الأذان بأغانٍ عجيبة طائفية مستفزة وصبايا صغيرات يستجدين الحب من شباب خائفين بات همهم الأكبر عبور الحواجز بسلام والأمهاتُ السمينات المربربات يترججنَ في جلابيبهن الكاحلة.. وأنا التائهة الدائخة أرسم على وجهي ابتسامةً متعبة.

* قانون الجذبِ * أنت كاذب بالتأكيد لأن ما أرسمه على شفتي يبقى مرسوماً فقط.. لا يتغلغلُ فيَّ.

* على فرع شجرة.. تبزغُ حفيدتي جود قادمةً من ديرِ الحصار.. ضئيلة بحجم قطة تقضم الأوراق الخضر المملحة بالتراب.. أغصُّ بلقمتها.. تهرب عيناي صوب بردى أنشد ماءه المتهادي حزيناً رزيناً إلى المجهول تثقله مخلفات المتنزهين وتخلفهم..و سواد يحار في مصدره

*يتراءى لي هاني بوجهه الوديع المدور يعارك التيار... يمد ذراعين لا تطالان زوجتهُ الحلوة البعيدة الغارقة في معاملات الظلم والغباء ولغة لا تتقنُها.. أتمسك بقلبي الذي يهوي ليطالَهُ ويضمهُ بعد طول غياب ...يسافر به النهر بعيداً إلى اللامكان..

*بردى لم تقسُ عليّ مثلهم؟!

*يقبلُ ذاك الصديق الذي أصبُّ إليه همومي.. أتصنعُ ابتسامة يُكشف زيفها وأكشف ما يثقله من هموم.. خير ام هاني؟

- أفر بوجهي صوب جهة خامسة -

في أخبار عن الشباب؟..

يطرق على وجعي.. فأجيبه.

محمد مازال بانتظار البحر الذي يخبئه المهربون في جيوبهم.. يبادلونه بالدولارات العصية واللئيمة.. ليرمي بأحلامه إلى عروسة بحر شقراء تسافر به غرباً.. محمد الحنون الذي يرفض السفر ما لم أصلِ له صلاة الاستخارة، أستخير بين بُعده وفَقده.

يا الله الرحيم أنجدني كي لا أقعَ من على السراط.

يا الله الرحيم خيركَ يغمرني لكني جحودة..

أولادي بخير وأنا بخير وأبوهم بخير وسوريا بخير.. كفاك أيها الخير لا تزد، طفح بك البر والبحر والأرصفة..

فسعدُ الجميل في أقاصي الأرض ينهل الخير بلغة صعبة وعيناه الخضراوتان تلونهما الوحشة بألوان غريبة.. سعدُ الجميل الصغير وحيداً في منزل منفرد بعيد.. (ألو أمي شلون أطبخ الل...؟)..

- (سعود ما بدها شي سهلة)

- (أمي شكون اخبار أخواتي؟).

- (كلنا بخير مابي مشكلة الحمد لله).

- (أمي افتحي سكايب بدي أشوف يمان)

يمان حفيدي الذكي الرائع المعجون بالفرح...

-(خالو ثعد ثلونك ديبلي بئرة ذغيره).

- (يمااان حبيب خالو تسوا هولندا وأوربا كلها.. يلعن أبو الغربة)..

...أبتعد عن مجال الصورة كي لا يرى إلا الفرح.. أشير بأصبعي للأب كي يصمت ..كي يكتم حزنه.. يبلع كلامه (آخ والله يا أبني ما أظن أشوفكم أنوب.. لا حول ولا قوة إلا بالله).

- (أمي وين أبوي)

- (أبوك نام حبيبي قال سلمولي على سعد)

- (شلون صحته؟)

- ممتازة!! ..

الترجمة الحرفية؛رجلاه متورمتان وعصاه اتعبها التوكؤ

دج... يمااان انتبه لا تدوس البلور..

- (الله معك سعدو انكسرت كاسة المي)

- (تتذكرين أمي المثل الديري.. مَي واتكبى!)

- (إي نعم ابني مي واتكبى ويامن يلمه).

***النهاية..

الساعة الواحدة ليلاً.. موعد جرعات الحنان والدعم النفسي والفرح الكاذب..

*ألو امستردام

*ألو اسطنبول

*ألو فنسن

*ألو دير الزور .. ألو.. ألو.. ألو...

طن ن ن ن ن ..

فصلت الشبكة

انتظار

بقلم: عبد الله أبو كشّة

كانـتْ تنتظـرُ وصـولَهُ كلَّ مسـاءٍ لتعتـلي يديـهِ كأرجوحـةٍ طفوليَّـةٍ حالمـةٍ، وتغطّـي بضفائرِهـا الصَّغـيرةِ جبينَـهُ المُتْعَـبَ، كأشـعَّةِ شـمسٍ ربيعيَّـةٍ حانيـةٍ، وتلتقـطَ مِـنْ كفَّيْـهِ كعصفـورةٍ صغـيرةٍ قطعـاً مِـنَ الحلْـوى، كعـادةِ وصـولِهِ لبيتِـهِ الصَّغـيرِ الَّذي يبنيـهِ بأحـلامِ البُسَـطَاء، لتأمـينِ قوتِـهِ اليـوميِّ.

لكنَّـهُ هـذهِ المَـرَّةِ تأخَّـرَ، وطـالَ انتظـارُهُ وطلعـتْ أكـثرُ مـن شـمسٍ ولـم يعـدْ، وهي تنتظـرُ ذلـك الموعـدَ الطّفـوليَّ المُنتظَـرَ

وقالوا لها: إنَّهُ لن يعودَ لأنَّهُ غادرَ الحياة.

لكنَّها بقيتْ تنتظرُ دونَ أنْ تستوعبَ مساحةُ طفولتِها معنى كلمةِ (أنَّهُ مات)

وكـبرتْ ضفائرُهـا الجميلـةُ إلاَّ أنَّهـا بقيـتْ تنتظـرُ رؤيـةَ مُحَيَّـاُه في حلـمٍ طفـوليٍّ هـو أكـبرُ مِـنْ أنْ يعيـهِ الآخـرون...

مـا أصعـبَ الانتظـار للقـاءٍ لـن يتحقَّـق، لعزيـزٍ ذهـبَ ولـن يعـودَ لأنَّـهُ غادرَ حياتَنـا بـلا رجعـةٍ، وهـذا يُسَـمَّى مجـازاً (موتـاً) لكنَّـهُ يعيـشُ في مسـاحاتِ القلـبِ والانتظـار.

أصوات

بقلم محاسن سبع العرب

على الرصيف، و بمحاذاة الجدار تماماً جلستُ فارداً أمامي قطعة قماش عليها بضاعتي المتواضعة، كنت قد فقدت بصري إثرَ مرض طفولي ، لكني اعتدت على ذلك، فما أسمعه من أخبار كافٍ جداً لجعلي حزيناً ومكتئباً .

صوتٌ من بعيد يقول بأن بعضاً من جنود النظام آتون بهذا الاتجاه،

تَبعَهُ صوت خوفٍ وهلعٍ وأقدامٍ ترتطم بالأرض هرباً من موتٍ أو اعتقال

وقفتُ لألملم بضاعتي وأركض باتجاه صوت الهروب الجماعي،

وصلني صوت أحذية الجنود العسكرية تقترب مني، كانت تقتربُ بشدةٍ، تسمرتُ في مكاني، لم يعد هناك مجالاً للهرب، اقتربَ الصوت، أصبح بجانبي تماماً، ثم مر من أمامي، تركني خلفه ومضى .

كان الجنديان يتحدثان، شممتُ رائحتهم حين مروا، ابتعد الصوت عني، بدأ يتلاشى ثم اختفى

ابتسمتُ وقلتُ في نفسي : منّ الأعمى بيننا ؟؟

حَاسْ

بقلم فيصل عكلة

بلدةٌ وادعةٌ من ريفِ إدلبِ الجنوبيِّ، تَغفو على سفحِ جبلِ الزّاويةِ الجنوبيِّ، وتَلتمسُ الدّفءَ من أُختيّها الكبيرتينِ (كَفرنبل) من الغربِ، (كفرومة)منَ الشّرقِ.

وتحيطُ بها الآثارُ الرومانيّةُ وهي خُربةُ حاس (شَنشراح) والرُبَيّعةُ من الشمالِ، وإلى الشّرقِ الشَّمالِيِ خربةُ فارسِ وإلى الشَّرقِ الجَنوبيِ بساتينُ «حِناك» الأثريةُ .

وقدْ ذُكرت البلّدةُ في معجمِ البُلدانِ لياقوتِ الحمويّ، وذلك بعدَ تحريرِ المنّطقةِ من التتّارِ والمَغولِ، وفي العصرِ الحديث.

يعملُ أبناءُ البلدةِ في الزّراعةِ، حيثْ تحيطُ بها حقولُ الزّيتونِ والتّينِ والعِنبِ كما يُحيطُ السِّوارُ بالمعْصمِ، ويزرعونَ الحبوبَ وبعضَ الخضارِ الّتي تعيشُ على مياهِ الأمطارِ لافتِقارها إلى المياهِ .

ونتيجةً لضعفِ مواردِها الطبيعيةِ، اتّجهَ أبناؤُها نحو الدِراسةِ لتأمينِ مستقبلِهم، فيها المئاتُ من حَملةِ الشّهاداتِ الجّامعيّةِ، والدّراساتِ العُليا، ومن كافّةِ الاختصاصاتِ، وقد وصلت إلى درجةٍ قياسيّةٍ على مستوى الجِوارِ!

وفي الفترةِ الماضيةِ التي سبقتْ انطلاقَ ثورة الكرامةِ، ظهرَ تَحوّلٌ نوعيّ بتوجه الأهالي نحو الصناعةِ، وتمّ افتتاحُ عددٍ من معاملِ البرّاداتِ و»البلاستيك» وموادِ البناءِ، الأمرُ الّذي منحَ أبناءَها رخاءً اقتصاديًا مقبولاً.

يتميّزُ أبناءُ البلدةِ على العمومِ بالالتزامِ الدينيِّ والرزانةِ والهدوءِ والدِّقةِ في اختيارِ الألفاظِ، والحصافةِ في التصرّفِ حتى ضُربَ بهم المثلُ من الجّوارِ.

ومع بدايةِ ثورةِ الحريّةِ شاركتِ البلدةُ مع انطلاقةِ الثَورةِ، وكانِ لها سَبق الصّيحةِ الأولى، ومعَ أَولِ مجزرةٍ يرتكبُها النظامُ في الشّيخِ مِسكين، خرجَ ثُلّةٌ من أبنائِها في الثامنِ عشرَ من الشّهرِ الثالثِ من عامِ ٢٠١١ ليَصدحوا بملءِ حناجرِهم :

بالدّم بالرّوحِ نفديكِ يا درعا ، بالرّوحِ بالدّمِ نفديكَ يا شهيد!

وتابعَ أبناؤُها حِراكَهم السلّميّ، يَخرجونَ في كلّ جمعةٍ من مسّجدِها الكبيرِ وهم يصيحونَ للحريّةِ والكرامةِ، ويحملونَ أغّصانَ الزيّتونِ ولافتاتِهم الجميلةِ، ويتوجّهونَ إلى كَفرنبل، يلتقونَ مع أبنائِها، ومع مَن يحضرُ من ريفِها الغربيّ، وينحدرُ الجمّعُ الهادر كالسيلِ العارمِ اتجاهَ معرّةِ النعمانِ، يصدحونِ بأهازيّجهم بأنَّ الشعبَ السوريّ واحدٌ.

ولِتبدأ بعد قليلٍ قوافلُ الشهداءِ والمصابينِ!

حَاسْ كغيرِها من بلّداتِ الجوارِ، دخلَها الجيّشُ، وعاثَ فيها فسادًا من قتّلٍ وتدميرٍ واعتقالٍ وتشريدٍ لأهلِها، وبدأتِ المعاناة، وتوقفتِ حركةُ الحياةِ حتى أتى فجرُ التحريرِ، وطردِ الحواجزِ من المنطقةِ، وقد دفعتِ القريةُ ثلّةٌ من زهراتِ شبابِها، بين شهيدٍ ومصابٍ، ثمنًا للّحريةِ !

وبدأتِ مرحلةٌ جديدةٌ من القصّفِ الجويِّ، والصاروخيّ على البلدةِ الثائرةِ، الأمرُ الذي أدّى إلى تدميرِ قسمٍ كبيرٍ منها، واستشهادِ وإصابةِ العديدِ مِنْ أبنائِها، ونزوحِ القسمِ الأعظمِ من أهلِها .

كما شاركَ أبناؤُها في كلِّ التشكيلاتِ، والأعمالِ التحريريةِ التي جرتْ في المنطقةِ، و في كلِّ الجبهاتِ على امتدادِ أرضِ سوريّا، وكانَ لهم الأثرُ الطيّبُ والسمعةُ الحسنةُ في تلكَ المواجهاتِ.

وأثناءَ نزوحِ بلداتِ الجوارِ احتَضنتِ البلدةُ آلاف اللاجئينَ الذين شاركوا أهلَها السكنَ ولقمةَ العيشِ، حتى وصلَ الأمرُ ببعضِ أبناءِ البلدةِ إلى ترّكِ مساكنَهم بما فيها للضيوفِ النازحينَ، ورَاحوا يشاركونَ أقرباءَهم السكن.

يقولُ أهلُ حَاسْ:

إنّنا نستذكرُ بعضَ التضحياتِ التي قدمتْها حاسُ الصمودِ، لا نمنُّ على أحدٍ، ونعتبرُ أنَّ ما قدّمتْهُ جزءًا من واجبِها، وأنّها ستبقى بإذنِ الله اسمًا على مُسمّى، صامدةً ومستمّرةً في تقديمِ التضحياتِ مهما عَظُمتِ، حتى تُرفرفُ رايةُ السّلامِ والحريّةِ والكرامةِ خفّاقةً في سماءِ الوطنِ، كلِّ الوطنِ.

درويش ما بعد الحدث

بقلم الكاتبة ألماز علو

كطائر مبتل أخذت الورقة الملقاة في الزاوية القصية من الغرفة تهتز بفعل تيار هوائي تسرب من النافذة المقابلة، في حين افترشت السجادة العجمية مجموعة من الأرانب والحمامات وهي بكامل بياضها، حيث لم تكن قد تلوثت بخطى القلم بعد، أربع ساعات مضتْ وأحمد ما يزال رهن الأفكار التي لا تتم، بدت كل الكلمات مكسورة الأعناق مشوهة النوايا أمام ما يحاول إيصاله، وذلك منذ أن عاد من الاجتماع مع رفاقه والذي انتهى إلى قرار كتابة مجموعة من اللافتات يكون لكلماتها بعداً عميقاً ومؤثراً، لتُعلق على الشرفات بمناسبة مرور العام الأول على نجاح الثورة، لكنه لم يكن بأي حال من الأحوال قادراً على التركيز، وما زاد من تشتته هو الحركة المستمرة لوالده جيئة وذهاباً بين الغرف، بشكل عشوائي وكثير الاضطراب كدجاجة ضُربت على رأسها، لذا خرج إلى الشرفة قافزاً فوق أوراقه، وبعد أن سحب نفَساً من(سيكارته) وأعتقه أعقبه بنَفَسٍ عميقٍ من الفراغ حوله، كانت رائحة الدم والبارود والأتربة ما تزال تملأ الهواء، ووجوه من رحلوا، ما تزال ترصدنا باسمة من خلف كل حجر، ولكن عدم احتمال أن تزداد كل تلك الصور والروائح كثافة بعد أن انتهت الحرب جعلته يجازف بسحب نفَسٍ ثانٍ وثالثٍ، ألقى عقب السيكارة من الشرفة وقبل أن يستدير مغادراً لمح خيالاً يقف بجانبه، يرصده بهدوء وسكون مرعبٍ، فالتفت ببطءٍ، كان ذاك مجرد امتداد لخيال الأب الواقف في الجهة الخلفية ناظراً إلى الأرض باستحياء لطيف،

بـدا كطفـل مذنـب لا يجـد طريقـة مناسـبة للإفصـاح عـن خطـأه ،ثمـة ابتسـامة كادت أن تعلـن عـن نفسـها على الشـفاه، تداركهـا أحمـد قبـل أن تفلـت مدعيـاً رصانـة بـدت مشـبوهة لعيـني الأب عندمـا وجـه إليـه سـؤاله منقـوص الجديـة :

ـ ما الخطب يا أبي

تململ الأب قليـلاً قبـل أن يقـول :لقـد طلـب منـا مديـر المصنـع ارتـداء أجمـل حللنـا لمناسـبة مـا تحـدث عنهـا سـتحل غـداً

ـ حسنا يا أبي فلتفعل

ـ سـأفعل ... سـأفعل ولكـن ثمـة مشـكلة صغـيرة، تعلـم بأنـه ليـس لدي سـوى طقـم واحـد مقبـول نـوعاً مـا وهـو خـاص للمناسـبات، في الحقيقـة هنالـك ثقـب عنـد الركبـة بحاجـة لإصـلاح، إنـه كبـير نـوعاً مـا وملفـت للنظـرِ وبمـا أنـك عملـت خياطـاً أثنـاء تواجـدك في الغربـة لفـترة فهـلا أصلحتـه لي بحيـث يصبـح غـير مـرئي؟

ـ ولم لا تطلب من أمي إصلاحه هي أيضا تتقن الخياطة، إن لم نقل أفضل مني بكثير

ـ أعلم ذلك ولكني صراحة لا أستطيع أن أطلب منها هذا

كان مـا يـزال ينظـر إلى الأرض وهـو يتكلـم ،أغلـق أحمـد عينـاً مضيقـاً الأخـرى و بهـزة رأس تنـم عـن التشـكيك تسـاءل:

ـ لماذا؟

ـ بصراحـة الثقـب ناتـج عـن جمـرة (أركيلـة) سـقطت عليـه عندمـا كنـت في سـهرة مـع الأصدقـاء، تعلـم كيـف صـادرت والدتـك كل مظاهـر المتعـة في المـنزل بعد استشـهاد

أخوك وعمك معتبرة الفرح خطيئة والسهر مع الأصدقاء جريمة لا تغتفر، كانوا قد ألحوا علي آنذاك وأنا لم أرفض ،حسناً أرجو ألا تعتقد بأن ألمي لا يوازي ألمها، ولكني كنت بحاجة لأن أتوقف عن الانحياز المستمر للوجع ولو لبرهة، لم أخبرها آنذاك ولا نية لي لأن أفعل الآن، تعلم كم سيؤلمها هذا.

قال الكلمة الأخيرة مرفقة بنظرة ترج صامت، ربتَ أحمد على كتف والده ـ لا تقلق سأصلحه لك.

لم يرد الأب بشيء، اكتفى بسحب (سيكارة) من جيبه وضعها بين شفتيه ودون أن يشعلها غادر الشرفة عائداً إلى الغرفة حيث تجلس زوجته منحنية على كتاب ما تقرأه، بسكون مر فأخذ يتابع معها الكلمات.

أما أحمد فقد عاد إلى غرفته محاولاً متابعة العمل الذي كان قد بدأه منذ الصباح، لا يعرف لماذا أضحت كل العبارات قاصرة عن تأدية أي قصد مذ قرر منحها معنى ما ؟

بعد جهد لا يستهان به، و بعد الكثير من الأوراق الملوثة والممزقة التي استقرت جانب العصفور المبتل في الزاوية ذاتها انتهى به الأمر إلى اللاجدوى، أسند ظهره إلى الجدار مستعيداً الحديث الدائر بينه وبين والده منذ قليل، حقيقة لم يكن يجد في نفسه ميلاً لتصديق رواية الأب ،فالمرأة التي تعاملت مع حزنها بتلك الطريقة المغايرة لما هو متعارف عليه عن تعامل الأمهات مع موضوع الفقد، من غير الممكن أن ترى في المتعة عملاً مشيناً تتوجب ممارسته سراً، ربما كان الأب هو من يراه هكذا فحاول التخفيف من وطأة شعوره بالذنب من خلال المبالغة في وصف رد فعل الأم إن هي علمت بالأمر.

بدا الاحتمال الثاني أكثر ترجيحاً، وبما أن الأفكار كانت تمر بحالة من

الاستعصاء فقد فضل الانشغال ببنطال والده الذي أخذ منه وقتاً ليس بالقليل دافعاً به إلى الإغفاء القسري وهو نصف جالس.

لم يكن يشبه ذلك النوع من الشتاءات الذي يكتفي ببعضٍ من حطب في مدفأة ونوافذ وأبواب موصدة، إنما كان شتاء أرعناً وقحاً يتسلل خلال إي ثقبٍ وبزحف على الجلد العاري للوجوه والأيدي مستخدماً غواية البياض ليسوقها في النهاية إلى عجزٍ تامٍ عن الحركة، مع هذا لم تجد الأم فيه مبرر مبرراً للامتناع عن إقامة أربعينيةٍ لابنها الشهيد بنصب خيمة العزاء على طبقة سميكة من الثلج.

في اليوم الأخير ومع خروج أخر شخص من تحت الخيمة سارعت الأم للجلوس مع زوجها بعد أن بقي وحده طالبة مني أيضاً القدوم، ودون مقدمات تقدمت انحنت إلى الأمام قائلةً:

أريد كتباً، كل ما يتيسر لكم من كتب، وأقصد حرفياً كل ما يتيسر

لم نرد ظناً منّا بأنها تهذي .

يردد أحمد في منامه مستعيداً كرؤية تفاصيل ذلك اليوم بينما بنطال والده ما يزال بين يديه ، ولكنها استقامت في جلستها متابعة :

لطالما أخبرني آزاد أنه بالقراءة وحدها نستطيع رؤية الأمور خارج إطار الحجم المعطى لها والذي يكون غالباً بقياسات ليست دقيقة ومبالغ فيها، علي أن أقرأ، لأني إن واظبت على رؤية مصيبتي وفقاً لحجمها من منظور الألم الذي لا يتوانى عن النفخ فيها يوماً بعد يوم، فإن هذا سيقتلني بلا شك، هنا تأكدنا بأنها أكثر صحواً من أي وقتٍ مضى، كانت تتكلم بثقة وإصرار لا يمكن أن يكون لأم

يرشح قلبها ألما منذ أربعين يوم ،تابعت قائلة:

ـ لدي أطفال ما زالوا بحاجة لي

ابتسم أحمد عند تذكر هذه الجملة، عن أي أطفال تتحدثين يا أمي، كبيرهم قضى شهيداً برصاصة قناصٍ بينما كان عائدا من الجامعة ،وأختان اخترت لهن زواجاً لم يحن آوانه بعد ليختارا بعده الهجرة خياراً، كل ما تبقى لك، هو أنا فقط.

في اليوم الثاني عاد الأب إلى المنزل محملاً بكمية هائلة من الكتب والمجلات القديمة، حتى قصص الأطفال لم يتوان عن إحضارها، كانت الأم تطلع على الكتب المكومة أمامها، فلسفة، تاريخ، روايات ،قصاصات مقتطعة من مجلات وجرائد محظورة ووو، عندما وجهت تلك النظرة المتسائلة والموشاة بشيء من الدهشة إلى والدي، رفع كتفيه كمن يقول: حسناً أنت من قال كل ما توفر

كان بين الكتب ثمة كتابين أحدهما بعنوان : الطرق الشرعية للنكاح ، والآخر بعنوان كيف تمتع زوجتك في الفراش

كان الكتابان لابن أخيه المتزوج حديثاً و قد أعطاه إياهما في محاولة للتخلص منهما قبل أن تكتشفهما الزوجة، ابتسمت الأم بخبث ثم رتبتْ كتبها، وبدأت رحلة إدمانها على القراءة.

دعونا نعود إلى الأب درويش، فهو رجل درويش في الخمسين من عمره، قضى عشرين سنة منها عاملاً في مصنع للنسيج، لم يبد تحيزاً إلى أي طرفٍ من الأطراف، أو حتى اهتماما بالحدث بالمعنى السياسي أو القومي أو حتى الإنساني، كل همه كان الحفاظ على أبنائه الأربعة خارج موازين اللعبة على اختلاف مسمياتها،

دون أن يفلح على أية حال ،أما حزنه على ابنه وأخيه الشهيدين فقد تعامل معه كما يفترض برجل مثله أن يفعل، يبكيهما سراً مدعياً في العلن بأنه من الحكمة الرضى بالقضاء، في اليوم السابق لحادثة البنطال كان صاحب المعمل قد طلب من العمال الاجتماع في الساحة وذلك قبل انتهاء الدوام الرسمي بساعة، حيث وقف على منصة خشبية محاضراً :

ـ تعرفون ما مررنا به جميعاً ،لن أتحدث عن ما مضى فكلنا على أتم الدراية به وكلنا لنا منه نصيب، إن كان أحباباً فقدناهم أو أموالاً خسرناها أو تشرداً وشتاتاً بين هنا وهناك عشناه .

حتى تلك اللحظة لم يتمكن درويش من الخروج بفكرة واضحة عما يتحدث المدير، ولكنه واظب على متابعة الخطاب باهتمام قائلاً لنفسه :

ـ طالما توجد منصة وكلمات لا نفهمها فلابد وأن يكون الأمر على قدر كبير من الأهمية

أما صاحب المصنع الذي توقف فجأة عن الكلام ملوحاً بيده كمن يطرد ذباباً لا مرئياً يتجول أمام ناظريه، وذلك بعد أن انتبه إلى الأفواه المفتوحة على مداها، والعيون المحدقة ببلاهة إليه فقد تابع مكتفياً

بقول :

ـ حسنا، لن أطيل عليكم بعد غد الساعة الثامنة صباحاً أرجو من الجميع التواجد هنا وهو يرتدي أجمل حلله، إنها مناسبة تستحق الاحتفاء بها والتزين لأجلها.

تكاد الساعة تبلغ العاشرة صباحاً ولمّا يهتدي أحمد بعد إلى عبارة تناسب الحدث يعلقها على شرفة منزله، أو بمعنى آخر لم يتمكن من الاهتداء إلى طريقة

ناجعة يستطيع من خلالها ضبط كل ما يختلج في رأسه من أفكار وفي قلبه من مشاعر ضمن سياق منظم ،» أحلام الموتى» كانت هذه الجملة تزرع جمجمته صعوداً وهبوطاً دون توقف، بأي وسيلة يا ترى يستطيع اختصار أحلام من رحلوا أثناء عبورهم تلك المسافة الفاصلة بين هاتف ورصاصة، بين انتظار وقنبلة، داخل بضع كلمات، عبثية محاولاته البارحة وأيضاً اليوم أصابته بإرهاق غير مسبوق خاصة وأنه اضطر للاستيقاظ منذ الخامسة صباحا بسبب الضجيج الذي نشره درويش في المنزل بينما كانت الأم تواظب على تكرار جملة :

ـ اخلد إلى النوم أرجوك ما زال الوقت مبكراً جداً

أما درويش فقد كان مصراً على أنه يجب أن يبدو بأجمل حالاته، ولا وقت كاف، كسر طبقاً وهو يحضر الفطور، أحرق يده وهو يكوي الطقم ،في النهاية استسلم أحمد ووالدته واستيقظوا مكرهين .

كان أحمد يسبر الشرفة جيئةً وذهاباً مدخناً تارة ومتأففاً أكثر الأحيان، عندما لمح والده يركض في الشارع متلفتاً حوله بخوفٍ، دخل درويش إلى المنزل وبعد أن أجرى سبراً سريعاً للدَرَج ولأبواب الجيران ، جذب زوجته من ذراعها بحركة سريعة، موجهاً في الوقت ذاته إيماءة من رأسه إلى أحمد تدعوه هو الآخر للدخول إلى الغرفة، أغلق الباب وأسدل الستائر وبعد أن جلس وسط الغرفة متخذا وضعية القرفصاء تنهد بعمق وبصوت أقرب إلى الهمس بدأ حديثه :

ـ عليَّ إخباركم بما حدث معي اليوم،كل ما أرجوه ألا نضطر للرحيل مرة أخرى

تعرفون أن صاحب المعمل طلب منا الحضور صباحاً، افترضت أننا بصدد التحضير لاحتفال ما عندما رأيت الجميع مجتمعاً في الساحة الأمامية للمعمل إلا

أن توقعاتي لم تكن في مكانها، فبعد دقائق قليلة توقف باص كبير في الساحة، اصطف الجميع بانتظام متبادلين ابتسامات ودية، هنا انحنى بجسده إلى الأمام مخفضاً من صوته درجة : نعم أقصد مبتسمين بالمعنى الحرفي للكلمة، عاد ليعدل من جلسته، صعدوا الباص بهدوء كل في دوره، دون تدافع أو تملقٍ ، لا أخفيكم سراً عندها بدأ القلق والشك يرسم خيوطه الأولى في داخلي، على كل أخذونا إلى مكان هو مدرسة أغلب الظن، لم يكن المشهد يختلف كثيراً من حيث الوجوه المبتسمة والنظام، أعطونا أوراقاً فيها أسماء لا أعرفها قالوا إنها لمرشحين وعلينا أن نختار أحدهم ، هنا بدأ ألف فأر بالتجول في صدري، عاد للهمس مرة أخرى :

ـ لم يكن اسم سيادته بينهم

ـ ولكن يا أبي

ـ أمسكت الأم بيد أحمد : دعه يكمل يا بني

سألت درويش بتعاطف : ما الذي فعلته بعدها

ابتسمَ الحمقى يعتقدون أنهم بهذا يستطيعون خداعنا، قلت مصرحاً بأني لن أنتخب سوى سيادته .

ضحك البعض في سره وبعضهم ضحك علانية، أما أنا فقد بقيت مصراً على موقفي حتى تقدم إلي شاب يافع، المقلق أنه هو الآخر كان يبتسم ، ذاك النوع من الابتسامات الذي يسبق المصائب، حاولت بكل طاقتي لملمة ما تساقط مني من أعصاب وأنفاس، أما الشاب فقد قال لي بهدوء : عليك أن تتوقف عن ذكر سيادته، يبدو أنك رجل درويش، اسمع يا عم، ادخل إلى تلك الغرفة، مشيراً إلى

غرفة صغيرة صنعت من ستائر أسدلت على شكل مربع، هناك ضع إشارة بجانب هذا الاسم، ثم عد إلى منزلك ، وهذا ما فعلته بالضبط، الاسم الذي حدده لا أعرف لمن يعود، لابد وأنها أحد ألاعيبهم لتوريطنا بسحب اعترافات غير معلنة منا.

ـ هل سيمرُ الأمرُ على خير ؟

ربتت الأم كتفه : لا تقلق لن يكون الأمر أفضل حالاً مما هو عليه اليوم ، اذهب للنوم لقد استيقظتَ باكراً لا بد وأنك متعب ،توجه درويش إلى غرفته ببطء، الثقل في قلبه حول جسده إلى كتلة بالكاد تجر نفسها، ما أخبرهم إياه لم يكن الحقيقة كاملة، ثمة جزء استحى من ذكره، عندما خرج من الغرفة المخصصة للإدلاء بالأصوات اندفع بكل طاقته لاجتياز القاعة بأسرع وقت ممكن، إلى أن يداً أدركته ممسكة بكتفه من الخلف، تجمد في مكانه مبتلعاً ريقاً جافاً، في تلك اللحظة عبرت ذاكرته كل الوجوه التي ودعها والتي قضت دون أن تحظى حتى بوداع ، قال في نفسه : حسناً إلى الجحيم هل سيكون الأمر أسوأ مما كان، التفت بثقة ليتفاجأ بوجه فتاة لها ملامح ناعمة تبتسم برفق، آخ من تلك الابتسامات لكم تخيفني :

ـ ما الخطب يا ابنتي

ـ ذاك الشاب الواقف هناك، مشيرة بيدها إلى الشاب الذي حدد له اسماً يختاره قبل قليل

أحس درويش بأنه قد داس عملياً في مستنقع من الرمال المتحركة وعليه أن يحسب حركاته بحذر كإجراء دفاعيّ، وكاستباق للكارثة، سارع للحديث دون أن يمنح الفتاة فرصة للمتابعة :

ـ ذاك الشاب هو من دفعني خلف الستارة بعد أن أشار إلى الاسم الذي يتوجب علي انتخابه، أنا رجل درويش حتى أني لا أعلم ما دعوى وجودي هنا أصلاً، صاحب المعمل هو من طلب منا الحضور، وقد فعلنا تعرفين لقمة العيش....

ـ حسناً يا عم ولكن الشاب هناك طلب مني أن أعطيك الهوية التي كنت قد نسيتها معه.

سحب الهوية من يد الفتاة بخجل، ومضى برأس يزداد انحناء مع كل خطوة يخطوها، رغم كل شيء لم يكن قادراً على الشعور بالاطمئنان لما يحدث، طوال حياته الماضية لم يخض محنة الاختيار هذه، كانوا يزجون بهم في الباصات عند حلول اليوم المحدد ثم يفرغونهم في الساحات العامة ليهتفوا ويمجدوا ويتقافزوا أمام الكاميرات كالقردة المدربة، بعدها يعود كل إلى منزله مع وجبة من الفول الطازج فرحا بعطلته ليوم إضافيّ، أما الباقي فقد كان هناك من يتكفل به، لم يحصلْ أن تجرأ أحد على السؤال عن ما بعد ، ألا يكون اسم سيادته بينهم ، وأن يكون ثمة مرشحين غيره أمر فاق استيعابه، وزاده ارتباكاً ، استلقى على فراشه متسائلا مرة أخرى

ـ هل سيمر الأمر على خير ؟

الساعة الواحدة تماماً، ثمة لافتة ترفرف على شرفة منزل درويش كتب عليها بخط كبير وصارخ كفضيحة

خلصوا الدراويش من مخاوفهم قبل كل شيء.

خامسًا

ضيف العدد

مؤسس اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار الشاعر محمد إقبال بلّو

أجرى الحوار: عبد القادر حمّود

الشاعر محمد إقبال بلّو، القادم من مدينة عندان المجاورة لحلب من جهة الشمال، والتي بزغت كإحدى أعتى قلاع الثورة منذ بدايتها، هذه المدينة الصغيرة إذا ما تحدثت كتب الجغرافيا والكبيرة عندما يتحدَّث الزمن، لا تجعلنا نتفاجأ إن احتضنت طفولة شاعر وسارت بها نحو الطريق التي نحتتها الموهبة وغذَّاها الإصرار...

يعود لقائي الأول بالشاعر إلى مطلع عام ٢٠١٠م، في افتتاح المركز الثقافي الجديد بمدينة عندان مسقط رأس الشاعر، وكنت مشاركاً في أمسية الافتتاح، يومها تقدَّم شاب لتقديم المشاركين بكلماته الطيبة الرقيقة والتي مازال وقعها حاضراً حتى اللحظة، يومها عرفنا أنه الشاعر الشاب محمد إقبال بلّو، وكان ذلك مفتاح معرفة وصداقة واكتشاف لشاعر يملك ناصية الموهبة باقتدار، وكان أن بدأت الثورة بحراكها السلمي أولاً وما تلاه من أحداث دامية، يومها كانت لقاءاتنا تتمّ في أحد مقاهي حلب، وكانت الأحاديث برمتها عن الحدث الذي رأيت في الشاعر حماساً منقطع النظير للمضي فيه ومواكبته، وتتالت المحطات عقب ذلك، وغادر الشاعر عندان وحلب مكرهاً، وبعد أن حطَّ في تركيا غادرها إلى ألمانيا، وخلال ذلك طرح فكرة تأسيس اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار، فكان المؤسس بحق، وعلى كل حال فلكل لحظة من لحظات مسيرته قصة وتفاصيل سنستجلي بعض معالمها ما أمكن من خلال هذا الحوار معه...

بداية الأمر هل يمكننا أن نتعرف على الشاعر محمد إقبال بلو؟

- أكتب الشعر وأعمل في الصحافة، من مدينة عندان في ريف حلب ولدت عام ١٩٧٨م. لأب شاعر هو الشاعر الراحل حسن بلّو، ولي مجموعتان شعريتان:

١. (رحيق الغمام) صادرة عن ملتقى الحكايا الأدبي عام ٢٠١١م.

٢. سارين: صادرة عن دار المثقف الجزائرية للنشر والتوزيع عام ٢٠١٩م، كتب تقديمها الاستاذ الشاعر عبد القادر حمود.

- ما يزيد عن خمسمائة مقال ومادة صحفية في صحف ورقية ومواقع الكترونية عربية.

- مؤلفان جاهزان للنشر ولم تتم طباعتهما حتى اللحظة هما:

١. مذكرات بقرة سورية: حوالي سبعين قصة إنسانية جميعها منشورة في الصحف الورقية والمواقع الالكترونية العربية، تم جمعها في كتاب لنشرها قريبا.

٢.الاستعباد الخفي للمرأة السورية ريف حلب نموذجا: وهو سلسلة من المقالات تتحدث عن تفاصيل دقيقة يحرّم المجتمع الريفي السوري الكشف عنها، وتتعلق بمعاناة المرأة السورية والانتهاكات المريعة التي تتعرض لها.

- مؤسس موقع (زي بوست)، (.) ٢٠١٩ ، وهو موقع اجتماعي أدبي.

- وردت في دراسة أدبية عن مجموعة (رحيق الغمام) في موسوعة أدباء من حلب في النصف الثاني من القرن العشرين الصادرة عن وزارة الثقافة السورية عام ٢٠١١م.

- مقيم منذ عام ٢٠١٥م في مدينة دوسلدورف الألمانية.

نحن نعلم أنكم من أوائل من طرح فكرة تأسيس اتحاد يضم الأدباء المؤيدين لثورة الكرامة السورية، فما هي قصة التأسيس؟

بعد اندلاع الثورة السورية ضد النظام الحاكم الذي قابل شبابها بالقتل والسجن والتنكيل والتعذيب، استغربت مواقف مئات الكتاب والأدباء الذين كنت أعتقدهم من أصحاب المثل وقيم العدالة والحرية، إذ وقف العديد منهم في صف النظام السوري وغدا تاجر كلمة لدى الحاكم، كما أحزنتني عشرات القصائد التي تجاهلت معاناة الشعب السوري وغضت النظر عن جرائم النظام الذي يسيطر على البلاد منذ عشرات السنين بقوة القمع والإرهاب، حينها فكرت بضرورة إيجاد منظمة مجتمع مدني تضم الأدباء والكتاب السوريين الأحرار، ليكونوا بديلاً عن اتحاد كتاب النظام الذي يسبح له ولأزلامه ليل نهار، فبدأت بدعوة الأدباء الذين كنت أثق بهم في تلك المرحلة، بل الذين أثق بهم وتمكنت من التواصل معهم، فعدد كبير من الأدباء لم يكن بالإمكان حينها التواصل معهم، وهكذا

تـم تأسـيس اتحـاد الكتـاب والأدبـاء السـوريين الأحـرار بعـدد مـن الأدبـاء لا يتجـاوز أصابـع اليديـن، ثـم بـدأ العـدد يـزداد ليصبـح بالمئـات، فـكان ذلـك الكيـان الذي كنـت أعتقـد أن مـن واجـبي العمـل على إنشـائه وتطويـره وذلـك في شـهر آب مـن عام ٢٠١١م.

من الحراك السلمي نبدأ، ما هو دوركم في تلك المرحلة؟

كنـت كمـا مئـات الآلاف مـن السـوريين أعتقـد بـأن النظـام الذي يقتـل شـعبه لمجـرد أنـه طالـب بفسـحة بسـيطة مـن الحريـة وبقـدر قليـل مـن العدالـة، لا يمكـن له أن يسـتمر في الحكـم، فشـاركت في الحـراك السـلمي والتظاهـر، كمـا سـخَّرت قلـمي وهـو السـلاح الوحيـد الذي أملـك لمحاربـة هـذا النظـام وفضـح سـلوكياته، سـواء مـن خـلال النتـاج الأدبي أو مـن خـلال المقـالات والتقاريـر الصحفيـة الـتي كتبـت ونـشرت المئـات منهـا في صحـف مختلفـة.

ماذا عن المراحل اللاحقة، مراحل القتل والدمار؟

كنـت أعتقـد منـذ البدايـة بـأن المعركـة العسـكرية مـع النظـام السـوري خـاسرة لا محالـة، وأننـا بحاجـة لاسـتمرار الحـراك السـلمي على الرغـم مـن الكـم الهائـل مـن الإجـرام الذي حـدث بحـقِّ السـوريين، لكنـني أيقنـت بـأن الخسـائر سـتكون أقـل مـن خسـائر المعركـة العسـكرية، كمـا اعتقـدت بـأن اسـتمرار الحـراك السـلمي سـيحقق نتيجـة أقـل سـوءاً إن لـم تكـن أفضـل، وبالفعـل حـدث مـا كنـت أخشـاه إذ حصـل النظـام السـوري على المـبرر لجرائمـه الـتي يرتكبهـا، بـل أثبـت صـدق ادعاءاتـه بـأن الثـورة ليسـت سـلمية، على الرغـم مـن أنهـا كانـت كذلـك في شـهورها الأولى، لكـن النظـام وجـد مـا يسـاعده على الإنـكار. وللأهميـة فمـا ذكرتـه لا يعـني أنـني كنـت

ضد الحراك الثوري المسلح، بل تعاملت معه أدبياً وصحفياً تعامل المناصر المؤيد له، ففي ثورة كالثورة السورية لا يمكن لك أن تكون مع جزء منها وضدّ جزء آخر، أنت لا بد أن تكون معها كاملة أو ضدها بالكامل، على أن تنتقد الأخطاء وتفضح الانتهاكات التي تخللتها، والتي تحدث غالباً ضمن الفوضى العارمة التي تسود مناطق الانتفاضات الشعبية، من قبل ثلَّة من المجرمين الذين يعملون لصالح النظام سواء بمعرفتهم أو دونها.

الشهداء أيقونة الثورة السورية فهل لك أن تحدثنا عن شهداء الثورة من الأدباء الذين دفعوا حياتهم ثمن الكلمة الحرة؟

قدم اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار شهداء عدة، كان الكاتب محمد نمر المدني رحمه الله أولهم، وقد سارع بالانضمام إلى الاتحاد فور تأسيسه، ليعتقل بعدها ويتم قتله تحت التعذيب، ثم الشاعر الشهيد خالد الخلف الذي قتل بغارة جوية في معبر باب الهوى الحدودي، ليليه الشهيد الإعلامي محمد أحمد تيسير بلو والذي استشهد أثناء التغطية الميدانية لإحدى المعارك مع النظام بالقرب من المخابرات الجوية في حلب. هؤلاء الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداء للحق والحقيقة، هم الذين يحق لهم أن يوصفوا بأنهم كتاب سورية وأدباؤها الأحرار وليس أولئك الذين فضلوا العبودية والارتزاق، ورغم قدسية الشهداء هناك من يماثلهم في ذلك، فأدباء سورية الذين وقفوا إلى جانب الحقيقة وحرية الشعب رغم وجودهم في مناطق خطرة لا يمكن للمرء الحر فيها أن يأمن على نفسه، هؤلاء أبطال حقيقيون يستحقون كل إجلال وتعظيم.

هناك كيانات أدبية مختلفة تأسست في ظل الثورة كروابط واتحادات وملتقيات إلى ما هنالك من مسميات، ما رأيكم في هذا المشهد، وهل قدم للثورة ما ينسجم مع حجم تضحيات الشعب السوري، ونبل أهداف الثورة؟

هذا موضوع سوري عام شائك، فما حدث بخصوص المنظمات المدنية الأدبية والثقافية يشابه ما حدث ضمن المؤسسات الإغاثية والإعلامية، بل وحتى ضمن التشكيلات العسكرية المعارضة، وكل ذلك يعبر عن فشل ذريع سقطت به المعارضة السورية، التي تحوَّل ولاء معظم تشكيلاتها إلى ولاء للممول، ولاء لمن يدفع، ولاء للدول بالتالي، ولهذا تشتت الجميع، حتى الكلمة وأصحابها غدوا في شتات، ثورة بحجم وزخم الثورة السورية لا يمكن أن تصل إلى المرحلة التي نعيشها إلا باستهتارنا جميعا دون استثناء.

أول منظمة مجتمع مدني تأسست في سورية بعد الثورة، اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار، تلا ذلك تأسيس تشكيلات ثقافية أخرى، طرحت فكرة الدمج منذ سنوات من قبل جهة ثقافية، كنت حينها رئيساً للاتحاد، فوافقنا موافقة مبدئية، لاعتقادنا بضرورة ذلك، لتكون المفاجأة أن تلك الجهة مع احترامي لكل القامات الأدبية الحرة التي تضمها، فرضت علينا شروطا مجحفة تكاد أن تلغي اتحادنا تماماً، فكان تقديري للموضوع حينها- وقد أكون مخطئاً- بأنَّ هذا ابتلاعاً وليس اندماجاً، فرفضنا بعد التشاور مع أعضاء المكتب التنفيذي والتصويت على قرار الرفض.

عن علاقة الشاعر محمد إقبال بلو بثورة الحرية والكرامة، ماذا تحدثنا وأنت الذي عبر طريقاً طويلاً من حلب إلى تركيا فألمانيا؟

مازالت ثورة الشعب السوري هاجسي الأكبر، ومازالت جزءاً مني ومازلت جزءا منها، في أواخر عام ٢٠١١م صرت مطلوباً لعدة فروع أمنية تابعة للنظام، كما تمَّ طردي من وظيفتي في مؤسسة مياه حلب، وبقيت محاصراً في عندان لعدة شهور، وفي مطلع نيسان ٢٠١٢م علمت بأن قوات النظام السوري سوف تقتحم مدينتنا الصغيرة، ولا يمكن لي المغادرة لأي اتجاه سوى الغرب حيث تركيا، فغادرت لأسبوعين مع عائلتي، ثم عدت لأرى بأنهم قد احرقوا منزلي الذي عملت لبنائه عشرة أعوام وأقمت فيه لعامين، كما أحرقوا كل ما لدي من مقتنيات ثمينة أهمها أعمال والدي الشعرية الضخمة، تلك النسخة الوحيدة التي تتضمن مئات القصائد التي لم تنشر أية واحدة منها، وكيف سينشر رحمه الله تلك القصائد التي يحكي معظمها عن قيم الحرية والعدالة والديمقراطية والتي تفضح النظام الحاكم منذ استلامه السلطة.

عدت إلى تركيا وبقيت أمارس عملي الثقافي والصحفي الذي كان جزءا من الثورة السورية، ثم عدت مرة أخرى كانت خلالها المعارك على أشدها في عام ٢٠١٣م، فلم أجد آذاناً صاغية لما أقوله بالمطلق ولا حتى من أهلي وعائلتي ومن كنت أتوقع استجابتهم، فغادرت أيضاً، لأعود بعد شهور مرة أخرى، هذه المرة قمت بتأسيس أول مجلس إدارة مدنية في سورية، حظي هذا الإنجاز باهتمام إعلامي واسع كونه كان بداية، ليتم إفشال المجلس من قبل من أسس لأجلهم، فغادرت ولم أعد، بقيت في تركيا حتى عام ٢٠١٥م. ولم أشأ مغادرة تركيا، ففي الحقيقة ما قدمه الشعب التركي الطيب وما قدمته الحكومة التركية لنا من رعاية وتسهيلات ليس بالقليل، وما اكتسبته من خبرات في هذه المرحلة كان مهما جداً، إلى أن بدأت أتعرض للتهديدات من أشخاص وجهات أسوأ ما في الأمر أنني لم أتمكن من

تحديد هويتهم، لكنني توقعت أن لعملي الصحفي دوراً في تلقي تلك التهديدات، لن أتهم أحداً لكن لدي تصور عن ذلك، تطورت التهديدات إلى محاولات اعتداء حقيقية لست بصدد تفصيلها، ما اضطرني إلى المغادرة إلى أوروبا، إذ عرفت أن مرحلة جديدة من الاغتيالات قادمة، ولا بد انكم تذكرون مرحلة ٢٠١٦م و٢٠١٧م، وكم اغتيل فيها من ناشطين وصحفيين.

نعلم بأنكم من أوائل من حملوا لغة الثورة ومفردات الموت والرصاص و (الآر بي جي) في قصائدهم ونقلوها بتحدٍّ وإصرار إلى المنابر في ظل هيمنة النظام، ماذا تحدثنا عن تلك المرحلة، وأين أنت منها الآن؟

نعم، فالفكر لا يحتاج (آر بي جي) ولا يحتاج مدفعاً ولا بندقية.. الفكر يا حبيبتي حب يفوق حبنا، أريد أن أروي حادثتين لا أنساهما مطلقاً عن ذلك في بدايات الثورة، ففي إحدى المرات في نادي التمثيل العربي بحلب، ألقيت بعض القصائد القصيرة التي تم نشرها في سارين، كانت نصوصاً شبه صريحة واضحة المعالم والمواقف، أعجب بها العلامة محمود فاخوري رحمه الله، صافحني ورمقني بنظرات حزينة لن أنساها، كانت عيونه تتوقع لي المصير الأسود، أراد أن يقول شيئا لم يتمكن من قوله.

والحادثة الثانية عام ٢٠١١م في بدايات الثورة السورية، إذ أقمت حفل توقيع لمجموعتي رحيق الغمام في المركز الثقافي في عندان، وخلافاً للمتوقع كان عدد الحاضرين يبلغ ضعف أعداد المقاعد يومها، قبل بدء الحفل طلب مني مدير المركز أن ألقي قصائد من المجموعة الشعرية لا من خارجها فرفضت، ثم طلب مني مسؤولو الحزب أن ألقي من المجموعة ذاتها لا من خارجها فرفضت، ثم طلب

مـني صديـق ذلـك فرفضـت، أخـبرني جميعهـم أن اخبـاراً وصلـت إلى مفـرزة الأمـن العسـكري بأنـني سـألقي قصائـد مناهضـة للنظـام، بـدأت بالإلقـاء وكان عنـاصر الأمـن حاضريـن طبعـاً، بعـد قليـل خرجـوا، خـرج وراءهـم عنـاصر الحـزب، والأطـرف أن مدير المركـز الثقـافي خـرج أيضـاً، وبعـض مؤيـدي النظـام خرجـوا، فلـم يبـق في القاعـة سـوى ثـوار عنـدان، ومجموعـة علمـت بهـا فيمـا بعـد كانـت قـد تطوعـت بالحضـور لحمايـتي مـن الاعتقـال في حـين حـاول عنـاصر الأمـن ذلـك.

حقيقـة أنـا مازلـت أنـا، ومازالـت الثـورة السـورية قضيـتي حـتى تنتـصر أو أمـوت، قـد يبـدو أسـلوبي مختلفـاً عـن السـابق، وذلـك ناتـج عـن تجـارب عديـدة وخـبرات كثـيرة تعلمتهـا خـلال عـشر سـنوات، بـدأت أعي مؤخـراً أن الثـورة السـورية يجـب أن تكـون ثـورة علينـا أولاً، ثـورة ضـد المفاهيـم، ثـورة توعويـة تقلـب الموازيـن تمامـاً، علينـا أن نخـرج مـن القفـص الذي أدخلنـا إليـه هـذا النظـام، لننجـح في محاربتـه، ولـن يتمكـن مـن الانتصـار مـن هـو داخـل القفـص، أحـاول منـذ سـنوات كـسر القفـص، سـنكسره كلنـا معـا وسـننتصر على هـذا النظـام الإرهـابي الدمـوي، فسـورية لا يمكـن أن تكـون أرضـاً للإرهـاب، ولا يمكـن أن يقبـل السـوريون بذلـك.

> ثمـة حركـة أدبيـة واكبـت الثـورة، مـا رأيكـم بهـا، ومـا تقييمكـم لهـذا الحـراك الأدبي بشـكل عام، والحـراك الشـعري بشـكل خـاص؟

رغـم أنـه وكمـا يقـال كان حـراكاً خجـولاً، إلا أنـه بالـغ الأهميـة، فلنتحـدث عـن البدايـة، معظـم الشـعارات الثوريـة الـتي تـم ترديدهـا في المظاهـرات كتبهـا شـعراء وأدباء محليّـون، كان كل شـاعر يكتـب هتافـات لمتظاهـري منطقتـه، بـل وأناشـيد وأغان كاملة، وهـذا حـدث في معظـم المـدن والبـلدات السـورية، قـد تكـون الحركـة الأدبيـة المنظمـة

ضعيفة، وربما لم تكن بمستوى تضحيات الشعب السوري وعظمة ثورته، لكن الحركة غير المنظمة كان لها دور كبير في السير جنباً إلى جنب مع الثورة الشعبية العظيمة، أما ضعف النشر فأسبابه أن النشر أصبح اليوم مكلفاً بالنسبة للشاعر أو الكاتب، فلا مكان لديه للنشر سوى مواقع التواصل الاجتماعي، ربما أيضا ضعف دور الكلمة عندما اشتد أزيز الرصاص، فجنون الرصاص لم يبق مجالاً لعاقل كاتب أديب مفكر أن يتحدث، وإن تحدث فلا جمهور له سوى العشرات ممن يشبهونه، ثورتنا لم تنجب شاعر ثورة وهذا مرتبط بأنها لم تنجب قائد ثورة أو مجلس قيادة ثورة، ثم إن الظروف القاهرة التي رافقت هذه الفئة من الناس، الفئة التي لا تمتلك سوى كلمتها وقلمها جعلهم في أضعف موقف، باعتقادي لا يمكن أن نجلد أنفسنا أكثر من ذلك، فما مرَّ به السوريون كلهم في الداخل والخارج كان مذهلاً، وأرى أن ما أنجز ثقافياً رغم ضآلته، جيد ضمن ظروف كهذه.

ما هي المهمة المناطة بالقصيدة المواكبة للثورة السورية ؟ وهل تتفاعل في رحلتها إلى المتلقي؟

سأجيب على هذا السؤال جواباً لن يعجب، القصيدة الثورة رغم أنني أراها في موقف هزيل، إلا أنني أؤمن بأهميتها كشاهد وموثق للمرحلة، فالشعر ديوان العرب، وهو ديوان الحروب والثورات أيضاً، تطور القصيدة السورية خلال سنوات الثورة لا يمكن تجاهله مطلقاً حتى على صعيد الشكل وانتقاء المفردات التي تأثرت بشكل هائل بمجريات الأحداث، وتطورها هذا جعلها أكثر قدرة على حمل الأحداث بين كلماتها بأريحية أكبر، حتى أن ظاهرة جديدة قد نشأت وسميت بسخرية (ظاهرة الكل شعراء) هذه الظاهرة التي يراها البعض مشكلة المشكلات في

القصيدة السورية، أعتقد بانها تطوّر جيد جعل كل من يمتلك القدرة على الكتابة السليمة يحاول أن يكتب القصيدة، لنسمِّها ما شئنا نثراً شعراً، أو لنقل حداثة أو غير ذلك، لكن ذلك كله سيساهم في توثيق المعاناة السورية، هذا التوثيق الذي قد يستنبط غيرنا منه الحكمة ويحصل على نتائج يبني عليها مستقبلاً.

أما المتلقي، ففي الوقت الراهن غير موجود بالمطلق، السوري يريد خبزاً ولا يريد شعراً، يريد أماناً ولا يريد شعراً، يريد مازوت، نعم السوري يريد مازوت ولنذهب بقصائدنا إلى الجحيم، أو لنخبئها لأولادنا وأحفادنا ليعرفوا من خلالها ما حدث وكيف كان تصورنا وفهمنا له.

الصوت العربي الباهت تجاه الثورة السورية لم يقف حائلاً أمام بعض الشعراء العرب المؤيدين لثورة الكرامة، فما رأيكم بهذا السياق؟

لن أطيل هنا، لكنني أعتقد بأن أصوات الشعراء العرب كانت باهتة أكثر من أصوات أنظمتهم، وكل ما سمعناه من قصائد مناصرة للثورة السورية كانت حالات خاصة فردية ولم تكن ظاهرة عامة بالمطلق، بل على العكس تماماً فقبل الثورة السورية كان لدي العشرات إن لم نقل المئات من الأصدقاء الشعراء من مختلف الدول العربية، معظمهم ابتعد عني منذ إعلاني موقفي من الحراك الشعبي السلمي، وهذا لا ينفي شعور الشعب السوري بالامتنان لهؤلاء الذين كنبوا له وعنه، إثر موقفهم الصادق المناصر للمظلومين والمضطهدين، بل على العكس فالسوريون أوفياء لكل من قدم لهم كلمة أو موقفاً أو حتى دعاء.

متى يكتب محمد إقبال بلّو قصيدته؟

أكتب القصيدة عندما تولد فكرة، باعتقادي لا قصيدة دون فكرة، فيما سبق كان الشاعر يكتب مئات القصائد الذاتية التي يحكي فيها عن نفسه وعن مشاعره وأحاسيسه ومعاناته وفرحه وألمه وأمله، اليوم وبوضوح شديد أرى بأن هذا النوع من الشعر قد اندثر أو أن عليه ان يندثر، نحن في عصر لا يمكن لك بل لا يحق لك أن تهدر وقت قارئ بقصيدة لا تحمل فكرة، فوقته ليس كوقته فيما مضى، القصيدة يجب أن تكون كثيفة قصيرة محملة بالأفكار بلغة سهلة إلى متوسطة، حين أتمكن من ذلك أكتب، وحين أجد أنني سأحكي عن نفسي وأسهب أتوقف، فلا أريد حتى لأبنائي أن يهدروا وقتهم في قراءة شعر غير مفيد، وهذه نظرة قد يراها البعض أنها ليست نظرة شاعر أصلاً، فالشاعر إنسان بطبعه ميال للحديث عن نفسه وكتابة ذاته، مات داخلي هذه الشاعر، الشعر دون فكرة هدر للكلمات.

ماذا عن النزوح، والتهجير، والاغتراب ؟ وهل تأثر الأدب بتلك المؤثرات؟

العوامل المذكورة في السؤال ساهمت بشكل كبير ومتميز في تطوير القصيدة السورية باعتقادي، فالتجارب المريرة التي عانى منها معظم السوريين كان لها دو مهم في تلوين القصيدة بذلك اللون، حتى أن النزوح المتكرر وحالة عدم الاستقرار أنجبت القصيدة الكثيفة والقصيرة، تلك القصيدة التي تشبه مكان الإقامة وزمنها القصير والمتغير، ورغم استقرار البعض في دول أخرى إلا أن حالة التوتر الداخلي مازالت تطغى وشعور عدم الاستقرار واقتراب أوان الرحيل الذي أصبح ملاصقاً للسوري أو للشاعر السوري بات طاغياً في القصيدة، إذ لم نعد نرى قصائد تتضمن مئات الأبيات كما السابق، وصارت القصيدة حاملاً للفكرة، سواء كانت

معاناة أو وصفاً لمعاناة أخرى أو طرق باب لإيجاد حلّ، أو بحثاً عن أمل في نفق لا نهاية مضيئة له، كما أن السوداوية باتت طاغية، في زمن أسود بالفعل، في زمن كهذا لا يمكن للشاعر إلا ان يكتب حدثاً، ظرفاً، ألماً، تاريخاً.

ما هي القصيدة الأثيرة لديكم والتي ستختارها لمجلة (ورق) الصادرة عن اتحاد الكتاب والأدباء السوريين الأحرار؟

- (ريحة) مطر

(ريحِةْ) مطرْ

مُسْتَفْعِلُنْ

متْفاعلن

متَفاعلن

لا وزنَ يكسرُ ما يشعُّ من الخريطةِ عابراً بحر اللجوءِ من الفرات إلى الشمال إلى البرودةِ والصقيعْ

بحرُ اللجوءِ يمرّ فوق بحوركم فالشعرُ والإنسان قد عبرا على جِلْد الدفاترِ

كسّرا كل السطورِ ومزّقا كلّ الورقْ

ريحِةْ مطر وينك يا تشرينِ الـ (خمسطعشرْ) سِنيْ

يا شهرَ خيبَتِنا الذي طيّرْت نسماتِ الخريفِ على جباهِ المتعبينَ وبِسْتَها أقنعْتَها أنّ الحرارةَ ذاتها أمّ الصقيعِ وأنّ أوراقَ الصنوبرِ لا تموتْ

في بيتنا شجرُ الصّنوبرِ يبتسمْ

ويخيطُ كلَّ ثيابنا بالإبرةِ الخضراءْ

أمّي على ماكينـةٍ يدويّـةٍ رجليّـةٍ كانـت تخيـطُ الحـبّ تَـدْرُزه بخيطـانٍ مـن الرمـانِ والدراق

والزيتـون والكينـا

تقبّلُ فيه أيدينا

مفاعلتن

مفاعيلن

وكمْ ضاعَ الشقا فينا

على فستانها الزعلانْ

يهيم بدمعتي نجمانْ

فصارت كفُّها مشطاً

وقلبي طار في (عندان)١

على فستانها الزعلانْ

سكِرْتُ بريحةِ القرآنْ

ريحِةْ مطرْ

مستفعلن

متفاعلن

متفاعلن

داستْ جحافلُ جندكم قلبي فجُنّ البرعمُ المخلوق من حَلَمات وردْ

داست جحافلكم جميع دفاتري

داست (بين الحلم والطين)

داست (كلمات للحب والحرية)

داست (إلى إقبال)؟

داست كرامتَنا وأحرقتِ النخيلْ

بضعُ نخلاتٍ صغيرةْ

فاعلاتن فاعلاتن

فَعِلاتن

فَعِلاتْ

بضع نخلاتٍ صغيرةْ

هاجرتْ ريحاً على موجِ الصّفيرْ

ربما عند الحدودِ استبدلت ذاك الإباءْ

بحذاءْ

أو طلاءْ

أو لدرء البرد عن زند الشتاءْ

وأبي مازال في المقبرة الغربيةِ المزدحمةْ

باحثاً عن شِعره بين الركامْ

يقولون أنّي ورثْتُ الكتابة عنه وأني

فَعولن فعولُ فعولْ

ورثت الكتابة عنه وأنّي كفرتُ بكلّ إلهٍ يريقُ المروءةَ تحتَ الصرامي

لك ريحِةْ مطر والله وحقّ الشِّعرْ ريحة مطرْ وِصْلِتْ منِ الأوراقْ

عطرِ القصائد من بواريدِ الغضبْ أقوى وأقوى منِ العشاقْ والأشواقْ

ريحِةْ مطر وكلّ الحنينْ القلبْ كلهْ اِستعرْ

(تبكين ويستعر الألق الوحشيّ

تنوء حنايا الصدر بآلام الحرمانِ

يتواثب شوقُ الهمساتِ

فيجرح كالسّيفِ القاطعِ وجهَ الصمتِ المخبوءِ

يحطّمُ جدران الصّبر يفجّرُ أناتِ الكتمانِ)٣

فَعِلُنْ فعلن فَعْلُنْ فعلن

يا ليت قصائدنا المخنوقة تصرخُنا تبصقُنا في وجهِ القرصانِ كرشّةِ ملحْ

فوق الجرحْ

يا ذاك الوطنُ المقتولُ أما منْ صُبْحْ؟

وأخيراً، بما أن الاتحاد منظمة مجتمع مدني ثقافية تُعنى بشؤون الكتابة الإبداعية والفكر والبحوث، تضم كتاباً سوريين آمنوا بالقيم الكبرى التي تبنتها الثورة السورية في الحرية والعدالة وحقوق الإنسان، فما هي رؤيتكم عن مستقبل الاتحاد وتقييمكم للوضع القائم ومقترحاتكم للمستقبل؟

أعتقد بأن الخطوة الأولى والتي باتت هامة جداً، وألوم نفسي على التقصير فيما مضى في العمل عليها، هي طرح مبادرة لتوحيد كل الكيانات الأدبية السورية المناصرة للثورة السورية، المناصرة فقط، والعمل بشكل جدي على إنجاز ذلك، كما أقترح العمل على استقطاب المواهب الأدبية الشابة والاعتناء بها وإظهارها على وسائل الإعلام المتاحة، والتوجه نحو الأطفال خاصة أولئك الذين في سنّ المراهقة،

إذ يسهل جذبهم إلى الجيد والسيء، فلم لا يتم جذبهم إلى هذا الجانب الأدبي الثقافي، ليقودوا هم سفينة الكلمة في المستقبل، هناك أمر يتجاهله دون قصد معظم الأدباء ولاسيما الشعراء، نحن نكبر وبدأت أعراض وأمراض الشيخوخة تظهر علينا، لا بد أن نعطي الفرصة للشباب والأطفال، والعمل على ذلك سهل وغير مكلف فقط يحتاج بعض الوقت.

أقترح إشراك المرأة الأديبة في كل الأنشطة التي يقيمها الاتحاد والتركيز عليها أكثر من ذي قبل، فإن لم ندرك نحن السوريون بأننا نعاني من أزمة تسمى أزمة المرأة فلن نتجاوزها، نحن نقتل نصفنا الآخر، ندمر نصف طاقتنا، ندفن نصف إنجازنا، ترى لماذا؟.

سادسًا

دراسات أدبية ونقدية

فنُّ القصَّةِ القصيرةِ

القاص عبد الغني حمادة

أوّلاً: ما هيَ القصَّةُ؟!.

القصَّـةُ هي سردٌ واقـعيٌّ أو خيـاليٌّ لأفعـالٍ أو أحـداثٍ، قـدْ تكـونُ بطريقـةٍ نثريّـةٍ أو شـعريّةٍ، الهـدفُ منهـا إثـارةُ الاهتمـامِ وإمتـاعُ القـرّاءِ أو السـامعينَ.

فالقصَّـةُ بهـذا المدخـلِ تعتـبرُ نـوعاً مـن فنـونِ الكتابـةِ الأدبيّـةِ، وهي ابنـةُ الرّوايـةِ، والّـتي هي ابنـةُ الأسـطورةِ والخرافـةِ والملحمـةِ.

في القصَّـةِ تتمحـورُ الأحـداثُ، وتتصـارعُ الشّـخصيّاتُ في زمـنٍ محـدَّدٍ، وغالبًـا يكـونُ الزّمـنُ قصـيراً، قـدْ يكـونُ سـاعةً أو دقائـقَ أو ربّمـا أيّامًـا. وتـدورُ الأحـداثُ في مـكانٍ محدّدٍ.

لا بُـدَّ مـن التّنويـهِ إلى نقطـةٍ مهمّـةٍ، يجـبُ الانتبـاهُ إليهـا، وخاصّـةً لدى الكُتّـابِ الشّـبابِ، ألا وهي، أنّـهُ كلّمـا تعـدّدَتِ الأحـداثُ وتفرّعَـتْ، تعرّضَـتِ القصَّـةُ إلى الفشـلِ. لذلـكَ يجـبُ أنْ تعتمـدَ القصَّـةُ القصـيرةُ على بطـلٍ واحـدٍ، تـدورُ حـولَهُ الأحـداثُ.

قبـلَ الخـوضِ في أنـواعِ القصَّـةِ، لا بُـدَّ مـن ذكـرِ بعـضِ روّادِهـا الأجانـبِ، مثـل: إدغار آلان بـو، مـو باسـان، إميـل زولا، تورغينيـف، تشـيخوف، غوغـول، وغيرهـم.

وَمِنَ الرّوّادِ العربِ: يوسف إدريس، زكريا تامر، محمود تيمور، وابن المقفّع.

ولا بُـدَّ مـن ذكـرِ الكتّـابِ الّذيـنَ كتبـوا نـوعًا مـن القصَّـةِ يـدعى (المذكّـرةَ)، وَتُكْتَبُ على لسـانِ صاحبِهـا بصيغةِ الــ (أنـا)، وهي نوعانِ:

١. واقعيّةٌ: حيثُ يقومُ الكاتبُ بسردِ سيرتِهِ الذّاتيّةِ، كأدبِ الرّحلاتِ وغيرِ ذلكَ.

٢. خياليّةٌ: وهي أنْ يتخيّلَ الكاتبُ شخصيّةً، فيسردُ على لسانِها أحداثًا، وكأنّهُ يكتبُ عن حياتِهِ.

وغالبًا ما كانَتْ تلكَ المذكّراتُ تتّسمُ بالسخريةِ، أو الكوميديا السوداءِ.

مِنْ أبرزِ مَنْ كتبَ هذا الفنَّ مِنَ الأدباءِ العربِ، طه حسين وكتابُهُ (الأيّام)، والمازنيُّ وكتابُهُ (صندوقُ الدّنيا).

ثانيًا: أنواعُ القصَّةِ:

تُقْسَمُ أنواعُ القصَّةِ إلى نوعَينِ رئيسَيْنِ، حسبَ الموضوعِ، وحسبَ البناءِ الفنّيِّ.

١. حسبَ الموضوعِ: قسَّمَ الأدباءُ والنّقّادُ القصَّةَ القصيرةَ إلى عدّةِ أنواعٍ: الاجتماعيةُ، التّاريخيةُ، الدّينيةُ، الذّاتيةُ أو النّفسيّةُ، الرّومانسيّةُ، السياسيّةُ، والقصَّةُ السّاخرةُ.

٢- حسبَ البناءِ الفنّيِّ: وهي: الواقعيّةُ والخياليّةُ والرّمزيّةُ والبوليسيّةُ، وقصصُ الأطفالِ.

ثالثًا: الأسلوبُ:

القصَّةُ ليسَتْ موضوعاً إنشائياً، أيْ لا تحتاجُ لمقدّمةٍ وعرضٍ وخاتمةٍ، فهناكَ مَنْ يكتبُ القصَّةَ على شكلِ مذكّراتٍ أو يوميّاتٍ أو اعترافاتٍ، أو يكتبُها على شكلِ تصويرٍ واقعيٍّ يقتربُ مِنْ أسلوبِ التّقريرِ الصحفيّ.

لـكلِّ قـاصٍّ أسـلوبُهُ، فالقـاصُّ حـرٌّ بـأنْ يختـارَ أسـلوبَهُ وأدواتِـهِ للكتابـةِ وإيصـالِ فكـرةِ القصَّـةِ والهـدفِ منهـا للقـارئِ حسـبَ مـا يرتـئي مِـنْ تشـويقٍ ودهشـةٍ.

تُكْتَـبُ القصَّـةُ بصيغـةِ المـاضي الـسّرديِّ الحـكائيِّ، الغائـبِ أو المتكلّـمِ، أو على لسـانِ شـخصٍ رأى الحـدثَ كشـاهدِ عيـانٍ، وَتُكْتَـبُ بصيغـةِ المضـارعِ (الغائـبِ أو المخاطَبِ).

تتنـوّعُ أسـاليبُ القاصّـينَ بمدخـلِ القصَّـةِ أو ببدايتِهـا، فقد يتتبّـعُ التّسلسـلَ الزّمنيَّ، بدايـةَ حـدثٍ، ثـمَّ الحبكـةَ، وأخـيرًا القفلـةَ، أو النّهايـةَ، أو يبدؤُهـا مـن النّهايـةِ لتحقيـقِ عنـصرِ المفاجـأةِ أو الإثارةِ.

رابعًا: أدواتُ القصَّةِ:

١. اللّغـةُ السّـليمةُ: (وهيَ أوّلُ شروطِ الكتابـةِ، وأريـدُ أنْ أنـوّهَ إلى الكتّـابِ الشّـبابِ، وَأُلْفِـتَ نظرَهُـمْ إلى هـذه النّاحيـةِ، وأنصحَهُـمْ بضرورةِ عـرضِ كتاباتِهـم ونصوصِهم على المختصّـينَ باللّغـةِ العربيّـةِ قبـلَ أنْ ينشروهـا، وهـذا الأمـرُ لا يُنْقِـصُ مـن قَـدْرِ الكاتـبِ، بـل يزيـدُهُ قيمـةً ورفعـةً وتواضعـاً وخـبرةً وتمرّسـاً في الكتابـةِ.

٢. الهـدفُ: حيـثُ يجـبُ على كلِّ قصّـةٍ أن تتضمّـنَ هدفًـا أو رسـالةً أو حكمـةً أو غايـةً أو توجيهًـا أو إشـارةً لظاهـرةٍ مـا.

٣. الحبكةُ: كلّما كانَتِ الحبكةُ قويةً كانَتِ القصَّةُ أنجحَ.

٤. الحـدثُ: في كلِّ قصّـةٍ يجـبُ أنْ يكـونَ هنـاكَ حـدثٌ يحـرّكُ الشّـخصياتِ، ليتابعَهـا القـارئُ ويتفاعـلَ مـع ذلـكَ الحـدثِ.

٥. الحـوارُ: الحـوارُ يزيـدُ المتعـةَ في القصَّـةِ، ومـن خـلالِهِ يتعـرّفُ القـارئُ على الأبطـالِ ومسـتوى وعيِهـم وثقافتِهم.

ملاحظة: بعضُ الكتّابِ يكتبُ الحوارَ باللّهجةِ العامّيّةِ ليقتربَ من خلالِهِ من قارئِهِ أكثرَ، إنْ تضمّنَ الحوارُ بعضَ الكلماتِ بالعاميّةِ لا بأسَ من ذلكَ، على أنْ توظَّفَ جيّدًا، وتخدمَ القصَّةَ، وإنْ لم يكنْ ذلكَ فلا حاجةَ للكتابةِ باللّهجةِ العامّيّةِ الدّارجةِ (وخاصّة إنْ لم تكنْ مفهومةً).

واللّغةُ العربيّةُ غنيّةٌ بالمفرداتِ والتعابيرِ الفصيحةِ الّتي تؤدّي الغرضَ بعيدًا عَنِ اللّهجاتِ العامّيّةِ الّتي لا تُعَدُّ ولا تُحصى في الوطنِ العربيِّ.

خامسًا: عناصرُ القصَّةِ:

١. الأفكارُ: (رئيسَةٌ أو ثانويّةٌ أو فكرةٌ عامّةٌ).

٢. الشخصيّاتُ: (أيضًا هناكَ شخصيّةٌ محوريّةٌ رئيسةٌ تتّكئُ على شخصيّاتٍ ثانويّةٍ في أحداثِ القصَّةِ).

٣. الأحداثُ: قد تتضمّنُ القصَّةَ أحيانًا حدثَيْنِ مترابطَيْنِ يصبَّانِ في صلبِ الموضوعِ، ولكنْ على الأقلِّ يجبُ أنْ يكونَ هناكَ حدثٌ واحدٌ في كلِّ قصّةٍ، كي لا تتحوّلَ القصَّةُ إلى موضوعٍ إنشائيٍّ وصفيٍّ.

٤. المكانُ: ذكرُ المكانِ في القصَّةِ يزيدُ التّوثيقَ والمصداقيّةَ، ويقرّبُ الكاتبَ من قرّائِهِ.

٥. الزّمانُ: يفيدُ ذكرُ الزّمانِ أو الطقسِ في زيادةِ المتعةِ والموضوعيّةِ لدى القاصِّ والقارئِ.

فالقصَّةُ فنٌّ أدبيٌّ وُلِدَ من رحمِ الرّوايةِ والحكايةِ، وتتطلّبُ اللّغةُ المكثّفةُ واستحضارَ الصّورِ، واستخدامَ الأسلوبِ البلاغيِّ الجزلِ، وكلّما كانَتْ بدايةُ القصَّةِ تشويقيّةً عَلِقَتْ بذهنِ القارئِ أكثرَ، وتمسّكَ بها، بحيثُ لنْ يتركَها حتّى ينهيها، وكلّما كانَ الحدثُ غريبًا أثارَتِ الانتباهَ أكثرَ لدى القارئِ أو المستمعِ، وأرى أنّ نهايةَ

القصَّـةِ المدهشـةِ، أو القفلـةَ غـيرِ المتوقّعـةِ هي العمـودُ الفقـريُّ للقصّـةِ القصـيرةِ ونقطـةُ القـوّةِ فيهـا، وَتُعْتَـبَرُ النّهايـةُ كإشراقـةِ الشّـمسِ في الصّبـاحِ.

تناغم بين الفن الروائي والفن التشكيلي في رواية اللحاف للكاتب أيمن ناصر

بقلم عفاف الرشيد

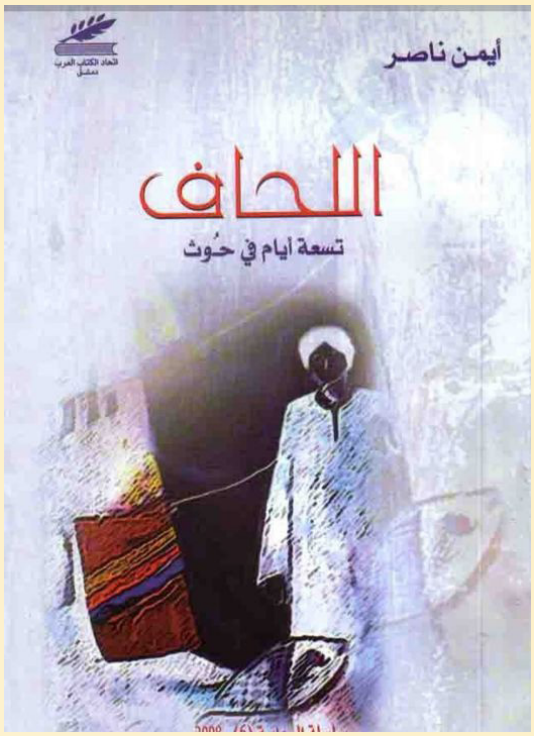

صهيلُ الغربة يهز جوانيات النفس البشرية، ويمنحها ثباتاً فوق الأرض، ويعزز الحالة العاطفية في تواصلها مع الأخرين بشفافية الوجدان ودفء المشاعر الإنسانية، هكذا دارت أحداث الرواية التي بدت بسيطة بين مجموعة من المعلمين المغتربين بحياتهم الروتينية.

لغةُ الكاتبِ التي أتقنتْ وصف جوانيات الشخصيات بدقةٍ منحتْ الرواية صبغة فلسفية تطرح كثيراً من القيم الإنسانية والأخلاقية.

الرواية متعددة المناخاتِ متنوعة التضاريس منسجمة تماماً مع وعورة الاغتراب وقسوته، تضج بلواعج الحنين إلى الأوطان.

يطرح الكاتب أيمن ناصر في روايته (اللحاف) الصادرة عام ٢٠٠٨ عن اتحاد الكتاب العرب ذات ال /٢٧٧/ صفحة من القطع الكبير عدة قضايا إنسانية واجتماعية ترصدُ حياة مجموعة من المعلمين المغتربين من عدة دول عربيةٍ يجمعهم معهد تعليمي في مدينة (حوث) التابعة لمدينة صنعاء باليمن.

للوهلةِ الأولى يبدو عنوان الرواية توريطاً وربما جاذباَ للفضولِ، لكن بعد الدخول إلى عالم الرواية نلاحظ أنه يقدمُ الكثير من الانتصارات لصالحِ فكرةِ الحكاية، خادماَ للحدثِ منسجماَ مع الحبكة.

من (مريبط) المدينة المغمورة في ريف الرقة السورية إلى (أم درمان) في السودان ثم إلى لندن فصنعاء فدمشق.. أفاق من التضاريسِ الجغرافيةِ المتناثرة انحسرت في مدينة (حوث) باليمن ولمدة زمنية لا تتجاوز التسعة أيام، رغم أن معظم أحداث الرواية تمت خارج مسرحها جغرافياً فاحتضنت عوالم متسعة تنقّل فيها بطلي الرواية (حمزة وسيد) الأساسيين بفيضٍ من تدفقِ شلالِ ذكرياتهما بكل ما فيها من شجونٍ وانكساراتٍ طحنتها رحى الغربة، وتجلت لغة السردِ ببساطتها وشفافيتها، لغةٌ مفعمةٌ بالمشاعر الوجدانية المؤثرة في المتلقي الذي يزداد انجذابا بفضلِ تأثير لغة النص، ثم وصفه الحدث الذي رسمَ ملامح أقدار الشخصيتين في غمرِ موجٍ متلاطمٍ من الاغتراب.

فلسفة المكان والزمان في الرواية:

تنقلَ الكاتبُ بأدواته السردية بين عدة أماكن جغرافية مختلفة من خلال تنظيمه لهيكليةِ الرواية وتنسيق أحداثها، فكان الفضاء الخارجي متسعاَ أكثر من المكان الذي انحسرت به أحداث الرواية داخل المعهد، واتساع أفق الفضاء الخارجي حتمي لكل رواية لأنها حكاية طويلة تستغرق زمناَ يتسع لأكثر من جيل.

ما يميز رواية اللحاف أن الأحداث التي اعترضت سيد وحمزة الحمداني في الفضاء والزمان الخارجي لمسرح الرواية مؤثرة تركت بصماتها بحياتهما نفسياَ

واجتماعيا وكانت قائدة إلى الحبكة مباشرة وبدقة وخصوصاَ بطل الرواية سيد.

لعب الكاتبُ بالزمن كما لو أنه بدأ الرواية من الوسط، حيث كانت بداية الرواية في زمن ناضجٍ من أحداثٍ عاصرها الشخوصُ، برؤيته حدد البداية في المعهد ثم انتقل بالزمنِ إلى الماضي وعاد ليكملَ الحاضر، ثم يرجع ويعود ومن خلال هذه الحركة الزمانية لم تفلتْ من القارئ فكرة أو تغمضُ عليه جملة، لدقة لغته السردية وتنظيم بنائه الزمني.

وتأتي المرحلة الأخرى من الزمن الرتيب وهي ثمانية أيام متتالية تم تنظيم السرد بها من خلال فصول الرواية بوضوح، ثم مرّ الكاتب على عشرين عاماً ليجعل اليوم التاسع في الرواية هو اليوم الأخير والختام.

لكل كاتب أسلوبه في هندسة بناء الرواية وفي أدواته التعبيرية اللغوية، لكن مقدار الإنجاز الجيد يظهر بتمكنه من جذب القارئ وعدم إضاعته بين مفارق الزمن الروائي.

رغم بساطة الحدث وسيطرة أسلوب سرد السيرة الذاتية على لسان الراوي الذ ي وظفه الكاتب بشخصية (حمزة الحمداني) تلك الشخصية المفرطة بالانتباه والحدس والمتيقظة باتقاد ذكاءِ شابٍ مرهف الحس، يعشق الأدب والفن التشكيلي.

كانت الرواية جاذبة تشد القارئ ليدخل فصولها وزمانها وهذا لا يتحقق إلا بإحساسٍ صادقٍ ولغة سرد تصويرية تشكيلية، ترسم خارطة نفسية لكل شخصية بدقة متناهية كي تؤدي دورها المخطط لها بدقةٍ تواكبُ تطور الحدثِ والحبكةِ ثم النهاية، فاتساع مساحة السرد للسيرة الذاتية كان له مبرره و لم يعرقل تنظيم سير الأحداث، بل شد أركانها بطاقاتٍ تعبيريةٍ ترسلُ فكرة الكاتب بصورة أكثر تأثيراً،

لأنـه عاش الحـدث وتـذوق طعـم المعانـاة فكلمـا كان الكاتـب معـاصراً للحـدث كلمـا كان تأثـير الـسرد مشـوقاً ومحرضـاً للمشـاعر الإنسـانية.

باعتبـار أن الشـخصية تحتـلُ مكانـةً مهمـة في بنيـة الشـكل الـروائي، فـهي وسـيلة الـروائي للتعبـير عـن رؤيتـهِ، تتحلـقُ حولهـا كل عنـاصر الـسردِ، وتشـكلُ المختـبر للقيـمِ الإنسـانيةِ الـتي يتـم نقلهـا مـن الحيـاة إلى داخـل النـصِ، كان ناجحـاً بانتقـاء شـخوصه دقيقـاً بقراءاتـه الجوانيـةِ لهـم. اختـار شـخصية حمـزة بصفـات تـروق له جاعـلاً منهـا الـراوي ليرسـلَ مـن خلالهـا رسـالته الفنيـة بـكل خصوصياتـهِ كنحـاتٍ وفنان تشـكيلي له مدرسـته الـتي تمـيزه، كمـا أرسـلَ أيضـاً مـن خلالهـا تجربتـه الشـخصية الإنسـانية الحقيقيـة في مجتمـعٍ يقمـعُ الفكـر ويغتـالُ الحريـات، ويسـتبد بالإنسـان، كمـا أضـاف إليهـا تجربتـه في الاغـتراب.

شـخصية (حمـزة الحمـداني) مدروسـة بدقـة ومحـدد لهـا مسـارها مـن خـلال نضـج الـسرد المترافـق مـع وقـع الأحـداث والمونولـوج الداخـلي، أمـا الشـخصية الرئيسـية الثانيـة هي (سـيد) مـدرس اللغـةِ الإنجليزيـة السـوداني الذي عاش تجربتـه الفاشـلة في لنـدن وهـو ابـن المجتمـع الـشرقي المحافـظ بتقاليـده الإسـلامية الاجتماعيـة، تلاعبـت بمشـاعره امـرأة غربيـة اسـتغلت بـراءة طينتـه وصفـاء نفسـه فدمرتـه حـتى أصبـح خليطـاً مـن انكسـار ونهـوض، لكنـه جبـار بإرادتـه تمامـاً (كحمـزة الحمـداني) كمـا أنـه يحمـلُ ثقافـة تليـق بطموحـات الـراوي، ويمتلـك شـخصية ذات حضـور أبـوي جميـل منـح (حمـزة) الكثـير مـن مشـاعر أبويـةٍ افتقدهـا بسـبب الغربـة، ممـا حقـق للكاتـب أهدافـه بتنظيـم حـوارٍ وسردٍ ومونولـوجٍ داخـليّ رائـع، تمـيز بتناغـمِ الثقافتـين العربيـة الأسـيوية والعربيـة الأفريقيـة، وتناغـمِ المشـاعرِ الـتي أجّجهـا الاغـتراب والحنـين، فتألق الحـوار بـين الشـخصيتين بمخزونـهِ الثقـافي الوجـداني، وعمـقِ تأثـيره النفـسي، بلغـةٍ

بليغةٍ جاذبةٍ للقارئ، فيها الكثير من الفلاشات والمنولوجات الوجدانية، فنجح نجاحاً كبيراً في إثارة عنصر التشويق بمهارته التي تجلت في حسن تحكمهِ بإدارةِ خيوط الرواية، وتحريكها بانسجامٍ وتناغمٍ وتماسكٍ .

وهكذا كان اختياره لباقي الشخصيات التي كانت منسجمة بصفاتها شكلاً ومضموناً وثقافة وأخلاقاً مع الحدث و الحبكة، وظف أدوارها بما يخدم فكرة النصِ وغاياته الأخلاقية، كذكاءِ زوجة (سيد) وقوة شخصيتها التي تمكنت من احتضان انكسارات (زوجها) فهو شخصية معقدة صنعتها ظروف غير عادية من الصعب أن تحتويه امرأة ساذجة، وظّفها الكاتبُ منذ بدايةِ الحدثِ وهي طفلة لتصبح سيدة الحبكة النهائية للرواية بقرارها الحاسم بحرق الميدوزا (اللحاف)

شدّني تمكن الكاتب من دخول عالم القارئ النفسي، وهذا الإنجاز يحسب لصالح النص، ومحصتُ في أدواته التي استخدمها فلاحظت عنايته بوصف شخصياته بدقة شكلاً ومضموناً، فجذبني نحو شخصية سيد من خلال قراءتي للمقطع الأول في الرواية، كان يؤكدُ بمهارته أن الشخصيات تتشكلُ بالضرورة عبر مقوماتٍ نفسيةٍ عاطفيةٍ تخترقُ سياق الرواية و ترافقها منذ البداية حتى النهاية، فكان لا بد من طرح تفاصيل جسمانية ترسم الانطباع العام حول الشخصية المراد توطينها في النص، وقد جعلَ شخصية سيد غريبة الأطوارِ، غامضة أحياناً بهدف تحريك كل عناصر الرواية وتحريض عنصر التشويق بذكائه اللغوي بالوصفِ المختزلِ والبليغ المحرض للخيال.

فلنلحظ هذا الوصف لشخصية (سيد) ((فاجأني بسمرته الغامقة وبياض أسنانه المتراصعة حين دفع باب الحجرة ودخل، بريق عينيه أرغمني على رفع رأسي

لأتأمل وجهه المنحوت بعناية إلاهية لا ترقى إليها يد مخلوق، ما كان لأحد أن يتجاوز طوله الفارع وضخامة جسده كمارد قُدّ من ليل، فلولا انحناءة خفيفة من رأسه لاصطدمت عمامته بسقف الباب)).

لوحة تشكيلية رسمها الكاتب بالوصف والتشبيه والاستعارة تجسدتْ كألوانِ الريشةِ وكأني أمامَ لوحة زيتيةٍ .

تعددت اللوحات في الرواية بصبغة كاريكاتيرية ساخرة مثلا شخصية الشيخ (عبدو) مدرس مادة الديانة وهو يرسلُ رسائل أخلاقية بسخرية رافضاَ للشر والانتهازية.

تقنية السرد اعتمدت على التأثير النفسي بلغةٍ مبهرةٍ في الوصف والتشبيه والاستعارة وجميع أدوات البلاغة والبيان كأدواتٍ فنيةٍ توصل أفكار الراوي فيشدُ المتلقي إلى عوالم الرواية و الشخصيات، كما يجذب العمل الفني متلقيهِ وناظره فيدخل إلى فكرة العمل التشكيلي، ويطورُ بخياله احتمالات التأويلِ والرمزيةِ، حتى أني غادرت مكاني ووجدتني أتجولُ في عوالم الرواية زرتُ الرقة، وتمشيت على ضفاف الفرات، ورأيت (الهاميّة) الأسطورة وشاهدتُ باب المغارة ثم انتقلت إلى (حوث) تجولت في المعهد، استوقفتني غرفة حمزة وسيد وجدرانها وزواياها والمنضدة والكتب والمَرسم و(الميدوزا) ذات الأفاعي المتناثرة فوق رأسها، كل شيء وصفه بدقة تُرسخُ المشهد بخيال القارئ، شعرت بمرارة غربة البطلين ودخلتُ أحزان ذلك المعلم السوداني فترسخت صورته في قرارة نفسي..

شعرت بأحزان حمزة ذاك الطفل الذي شهد اعتقال والده، وانكسار روح أمه أمام ذاك القهر الإنساني المؤلم، وهو يكتنزُ كل هذا الألم لسنواتٍ طويلةٍ حتى

شاءت الأقدار أن يلتقي بالمعلم السوداني ويضخ له من خلال بوحٍ عميقٍ مؤثرٍ كل هذا الحجم من الحزن .

للأسطورة مساحة منتظمة في النص بلا مبالغات، وهي أحد روافد الإبداع الروائي بتوثيق ثقافات الشعوب، وطرحها بثقافتين مختلفتين شرقية وغربية فوصف أسطورة الفرات: ((الهاميّة لها قرنا تيس وعينا بومة مفتوحتان دائماً، ليس لها أجفان كعيون السمك وصوت يشبه صوت الماعز، شعرها طويل أسود تخرج ليلاً من النهر أوقات البرد الشديد والفيضان تأكل الأولاد الذين يأتون للسباحة في مثل هذا الوقت))

وتناول أسطورة الميدوزا المنبثقة عن ثقافة يونانية قديمة مرتبطة بالآلهة، تُجسد الصراع بين الخير والشر، فكانت الميدوزا جميلة لكنها أغضبت الآلهة فحولت شعرها إلى ثعابين، وبما أن الأساطير توثق ثقافات ومعتقدات الشعوب لذا منحتْ النص بعداً ثقافياً واجتماعياً لصالح تقييم الرواية.

وحيث أن الرواية كتعريف لغوي هي نثر خيالي يُكتب بأسلوب سردي يفسحُ أفق الخيال أما القارئ، نلاحظ أن رواية اللحاف أضافت إلى خيال المتلقي صوراً تشكيلية متميزةً بمهارة الكاتبِ الذي أضاف إلى النص خبراته وموهبته في النحت والتشكيل التي تُحتسب لصالح تقييم العمل الروائي.

الشخصياتُ خدمتْ أدوارها بدقةٍ، والسردُ شيقاً بجمل رشيقة قصيرة متتاليةٍ لم يعرقل النص بالترهل، أما الحوار المختصر بلغة بسيطة دونما تكلف ورد معظمه باللهجة العامية مقترباً أكثر نحو البيئة المحلية وهو أمر محبذ في الرواية .

الحبكة المتماسكة توجتها نهاية مبهرة، محققاً ركناً مهماً في النهاية التي لم

تكـن روتينيـة إضافـة إلى تتويـج النهايـة برسـائلٍ ثقافيـةٍ لهـا دورهـا الاجتمـاعي إضافـة إلى إتقـانِ بنـاء هيكليـةِ تنظـم الأحـداثِ والزمـن.

لـن ننـسى القيمـة الإنسـانية والأخلاقيـة للنـص، طـرح قضيـة الاغـتراب بـكل انكسـاراتها، وتطـرق للقهـرِ السـياسيّ والاجتمـاعي، وعـرض بعـض المعتقدات الشـعبية الخرافيـة وعالجهـا مـن خـلال توصيـل فكرتـه للمتلـقي بحتميـة خلـود القيـم النبيلـة في الإيثـار والتضحيـة والوفـاء، يمكننـا الجـزم بـأن مـن يقـرأ الروايـة سـيعلق في ذهنـه الكثـير مـن أحداثهـا، بفضـل لغـة الكاتـب المتمكنـة ذات البعـد النفـسي العميـق الأثـر اسـتخدمها بمهـارة فنـان تشـكيلي متمـيز.

اللحـاف عمـل روائي واقـعي بامتيـاز أضـاف إلى الأدب الـروائي المعـاصر نصـاً له تقييمـه الفـني بلغـة تشـكيلية أنجـزت التناغـم بـين الفـن الـروائي والفـن التشـكيلي ودمغـت بصمـة واضحـة في سـاحةِ الأدب الـروائي المعـاصر.

إلماعات نقديّة في مجموعة (الشّعب يريد) للقاصّة جهان سيد عيسى

بقلم النّاقد محمد بشير الخلف

مقدّمة:

تندرج مجموعة (الشّعب يريد) للقاصّة (جهان سيّد عيسى) الصادرة عن دار موزاييك ٢٠١٩م من حيث التّجنيس الأدبيّ في سياق السّرد القصصي المصنف تحت عنوان القصة والقصّة القصيرة جدّاً، وقراءتنا مقصورة على القصيرة جداً.

وبالرّغم من عمر هذا الجنس القصير قياساً على الأجناس الأدبيّة الأخرى، استطاعت القاصّة امتلاك ناصيته، ويكاد هذا اللّون من الكتابة أن يكون الأقرب إلى نفسيّة الكاتبة باضطرابها وقلقها وكثافة الشّحن بأبعاده المختلفة، والّذي تعامد مع واقع شديد الاضطراب والقلق والحركة، فكانت ثلاثية متناغمة منسجمة؛ (واقع + طبيعة القاصّة + قصّ مواكِب لذبذبات تفاعل القاصة مع الحدث بالآن واللحظة).

البناء الحكائيّ:

استطاعت القاصّة من خلال توظيفها لعناصر القصّة القصيرة جدّاً من حدث وزمان ومكان وشخوص موظفة في سياقات ومسارات هذه القصّص أن تعطينا

صـورة بانوراميّـة لموضوعاتهـا الحكائيّـة، والّـتي غطّـت الجوانـب الاجتماعيّـة والإنسـانيّة والوطنيّـة، فقـوس قزحهـا واسـع الطّيـف والأبعـاد؛ حيـث أنّهـا ببصيرتهـا النّافـذة اسـتطاعت أن تنقـل أدقّ تفاصيـل حكاياتهـا بلغـة مبـاشرة أحيانـاً، ورامـزة ومكثّفـة أحيانـاً أخـرى، ولـو أخذنـا مثـلاً لذلـك قصّـة (تبـادل أدوار) الـتي تقـول القاصّـة فيهـا:

(لـم يـوزّع الأب العيديّـة على أطفـاله في هـذا العيـد كعادتـه، بـل هـم.. مـن وزّعـوا أشـلاءهم عليـه في الصّبـاح قطعـاً مـن حلـوى وهدايـا ...عيـد..!!).

بنـاء حكاياتهـا يماثـل بنـاء الطّيـور الوادعـة لأعشاشـها، أمكنتهـا مختلفـة، وأزمنتهـا مختلفـة، وشـخوصها مختلفـون ألوانـاً وأحجامـاً، لا تـدري لأيّ سـبب تباغتهـا الطّيـور الجارحـة غفلـة منهـا، فتتركهـا للأحـزان، والبحـث عـن أماكـن أكـثر أمانـاً، فهـذه قصّـة (ثلاثـة وحـوش):

مـرّة حَلُـم ببيـت مفتـوح الشّـبابيك، وعصفـورة تغـنّي كلّ صبـاح، ونافـورة مـاء... فجـأة وجـد ثلاثـة وحـوش يدقّـون عليـه بـاب الحلـم... دفعـوا بأقدامهـم بوابـة رأسـه، ودخلـوا بأحذيتهـم العسـكريّة، داسـوا في طريقهـم على كثـير مـن الأفـكار والأحـلام، بعضهـا كان مـازال براعـم صغـيرة فَسُـحِقَت، وبعضهـا كان في طريـق الاكتمـال، أكملـوا طريقهـم باتّجـاه الحلـم وضعـوا على معصميـه قيدهـم الفـولاذيّ الصّـدئ، كبّلـوا قدميـه بالحديـد، ومضـوا ... وعندمـا انتصـف اللّيـل كان حلمًـا مرميًّـا على قارعـة طريـق، على ظهـره أثـر سـياط، ومـن جوفـه تتـدلّى عصفـورة مخنوقـة، وبقايـا بيـت مكـسّر الشّـبابيك، ونافـورة تـنزف دمـاء دمـاء...

وقد تلحق هذه الضّواري بأعشاش طيور البراري حول المخيّمات، الّتي هربت من أشجار المدن إلى حيث الفضاء الرّحب، والنّجاة من الصّخب وغدر تلك الضّواري، تقول في قصّة (نزوح):

تشبّثتْ بهم... حاولتْ الذّهاب معهم، لكنّ الباص لم يتّسع لها، كان مزدحمًا بكلّ أولئك الهاربين من الذّبح المحقق لهم إن هم بقوا في المدينة فقط لارتكابهم جريمة المطالبة برحيل الرّئيس... نهروها ودموع حرقة تشتعل في مآقيهم... انتزعوا أرجلهم من بين أصابعها المتشبّثة بهم، وانطلقوا مسرعين... وحين وصولهم وجدوا آثار طين أصابعها على حوافّ بناطلهم... فركوا الطّين، جمعوه في قطعة قماش قصّوها من قميص طفل مات معهم في الطريق جوعًا وبردًا، ثمّ كتبوا عليها بقايا وطن...

وبالرّغم من كلّ الإجرام الّذي تفنّن النّظام بإنزاله على الشّعب كي يكسر إرادته، وقد ظهر جليّاً من خلال تحدّي النّظام للشّعب السّوريّ بكلّ ما توفّر له من قوى ماديّة وقوى معنويّة إلاّ أنّ استجابة الثّوار كانت بزخم أكبر بالرّغم من تضحياته الجسام الّتي قدّمها، وبقي الشّعب يردّد حتى الشهداء نهضوا من قبورهم ورددوا (الشّعب يريد إسقاط النّظام).

أخرجوا الجميع من المدينة، لم يُبقوا فيها أحداً، حتى العصافير أخرجوها... النّاس والمسلّحين والحيوانات، فهم قد سمعوا أنّه حتى حيواناتهم تصرخ «الشعب يريد إسقاط النّظام»... كسروا أعلامهم

الخضراء، ومسحوا كل عبارات الحرية المكتوبة على الجدران... أربعة أعوام وهم يحلمون باستعادتها، وها هم اليوم قد استعادوها، وأخرجوا أهلها وأحرارها منها... رقصوا وشربوا وعربدوا ورفعوا أعلامهم الملطّخة بالأحمر، وعندما انتصف ليلهم وبلغ سكرهم مداه توزّعوا بيوت أهل المدينة وأسرَّتَها وناموا، وعند الفجر استيقظوا على أصوات تهدر في الشوارع «الشّعب يريد إسقاط النّظام»... ظنّوا الصّوت حلماً، بل كابوساً... عركوا عيونهم وأكملوا نومهم، لكنّ الصّوت صار أقوى... فزعوا ووثبوا من أسرّتهم المسروقة... فتحوا الأبواب فإذا الشّوارع تغصّ بجثث الشّهداء، قد خرجوا من قبورهم وملؤوا الشّوارع وهم يهتفون... « الشّعب يريد إسقاط النّظام... الشّعب يريد إسقاط النّظام».

تقنيات القصّ :

يكاد التّكثيف أن يكون الميزة الأشهر، والأكثر اتّفاقاً عليها بعين النّقّاد في القصّة القصيرة جدّاً، وكذلك كان واضحاً امتلاك القاصّة لهذه الخاصيّة، فلو أخذنا مثلاً القصص الّتي لم تتجاوز النّصف صفحة فما دون، لوجدنا عددها ٨٥ قصّة من أصل ١٢٥قصّة، أي أكثر من الثّلثين.

ولا أعني أنّ القصص الباقية ليس فيها تكثيف، وإنّما أردتُ هنا أنّ القاصّة لها إمكانيّاتها الإبداعيّة، وخبرتها في تكثيف النّصّ بأبلغ احتياجاته، فهو رسالة من الملقي إلى المتلّقي، زاخرة بالشّحن اللّغويّ المكتنز بالرّموز والإشارات، فهي تستدعي

أيضاً قارئاً مثقّفاً لديه القدرة على فكّ شفرة هذه الرّسائل القصيرة، مثال ذلك من قصّة (دمعة)، وقصّة (حصان)، الّتي جاء فيها:

> امتطى نخوته ومضى ... وعندما أصيب حصانه سقط.

أمّا التّقنية الثّانية الّتي اتكّأت عليها جماليات القصّ عند الأديبة القاصّة (جهان)، فهي المفارَقة؛ وهي سمة جماليّة يستعين بها القاصّ ليضفي جماليّة على قصّته، فهي تقوم على إمساك القاصّ بحبال المتلّقي إلى القفلة أو نهاية القصّة، وتكون على عكس ما رسم القاصّ، أو بأدقّ من ذلك؛ ما أوهم القاصّ القارئ بأنّ نهاية القصّة سوف تكون هكذا، وإذ بها فجأة تكون غير ذلك، وهنا يحقق الإدهاش، والغرابة لدى المتلّقي، الّذي يحس بجمال لم يكن يتوقّعه، وقد أجادت القاصّة (جهان) بهذه السّمة، ومثال ذلك قصص كثيرة مثل (دفء، انتقام، كولاج، رأس، أناقة موت).

وتقول في قصّة (أناقة موت):

> غبار وحجارة وبقايا رؤوس وأطفال تئن... ودماء تتدفّق من كلّ مكان... رماد حرائق وبكاء... دخان تنزّه، جثثٌ نُسِفَت مدافنها، فتناثر منها الموت... صراخ وعويل، طفل يحاول الهرب، فتغوص أقدامه في لزوجة جثّة... كان ذلك كفيلاً أن يلوّث يديه الغارقة في تفاصيل الموت، لولم يكن الموت أمامه سوى لوحات مصوّرة يرتّبها بأناقة على جدار الصّالة الذّهبيّ استعداداً لمعرض اليوم.

وفي قصّة (معركة) تتوضّح أكثر، إلى جانب السّخرية فيها تقنيات القصّ الأخرى التي نجدها مبثوثة في ثنايا القصص من الشّعريّة إلى التّضمين إلى البلاغة، والاختصار، والإضمار، الّتي زادت من جماليّات القصّ عند القاصّة، وخشية الإطالة ألمحنا إليها إلماحاً.

ندرت الأخطاء النّحويّة والإملائيّة من قصص الكاتبة، والّتي تعتبر ميزة إضافية في معايير إتقانها لأساليب القصّ، والخطأ الوحيد الّذي نشير إليه هو لفظة (ملؤوا)، والصّحيح أن تُكتَب بهذا الشّكل (ملأوا).

الخاتمة :

صحيح أنّ مجموعة (الشّعب يريد) هي باكورة مداد القاصّة (جهان سيّد عيسى)، غير أنّها مجموعة امتلكت كلّ عناصر القصّ وتقنياته بفنيّة عالية، تنبئ عن موهبة وخبرة ثرّة، وعواطف شعوريّة ناضجة تنساب في أوصال شخوص قصصها، وكأنّها هي الّتي تقوم بالأحداث، وليس الأشخاص اللذين تفصل بينهم مساحات الواقع، ويجمع بينها وبينهم الصّدق والإخلاص في بناء النّصّ المعجون بدمها، وأعصابها، وروحها المتحرّقة والمتوثّبة، هُم نصّ الدّنيا وهي النّصّ اللّغويّ.

البُعد الاجتماعي في رواية (هنا ترقد الغاوية)

للروائي اللبناني محمد إقبال حرب

بقلم الروائي محمد فتحي المقداد

مدخل:

الصّراع سِمةُ الوجود الإنسانيّ في هذا الكون منذ بدء الخليقة، وتتشابه حالاته في كثير من مُعطياته بفارق الزّمان والمكان. دوافع حركة الحياة ولّدت الرّغبات.. الأحاسيس.. الآمال.. الأحلام.. الدموع.. الأحزان، ولم تزل راسخة ساكنة في واقع المُجتمعات البشريّة؛ منذ جيلها الأوّل بين هابيل وقابيل أبناء سيدنا آدم عليه السّلام.

رواية (هنا ترقد الغاوية) تُعتبر ببنيتها السّرديّة قد أخذت المسار الاجتماعيّ المُوشّى ببعض التلميحات السياسيّة، وهذا لا بدّ منه لتكامليّة أيّ عمل روائيّ مهما كان، أثناء مُتابعتي لأحداثها قراءة؛ ظننتُ نفسي أمام (نجيب محفوظ) و(عبد السلام العجيلي)، وهما من سادة المدرسة الواقعيّة الاجتماعيّة.

العنوان:

جاء العنوان بكلماته الثلاث بأبعادها الدلاليّة؛ لتأكيد القضايا التي عالجتها رواية (هنا ترقد الغاوية).

-(هنا) وهي اسم إشارة دالّ على المكان القريب المُشاهد؛ المُؤكّد بواقع تلتمسه الأحاسيس، وهو لخطاب آخر يُعاين ببصره، ويستمع بأذنيْه لصوت القائل، مع اشتغال الأحاسيس التي لا تظهر تفاعلاتها إلّا بمتابعة الحديث.

-(ترقد) كلمة بصيغة فعلية تفيد الحاضر والاستمرار أي الفعل المُضارع. والفعل لا بُدّ له من فاعل ضمن حدث، يُنتجُ مفعولًا به أو فيه.

ومن نام رقد في فراشه، ومن استلقى تحت شجرة أو في غرفة أو إلى حافّة الرّصيف، أو في أيّ مكان لأخذ قسط من الرّاحة، لن يكتمل المعنى المُراد من كلمة (ترقد) في العنوان إلّا بانضمام الكلمة الثالثة لها، لتشكيل مفهوم يتكامل معناه في ذهن المُتلقّي سلبًا وإيجابًا.

-(الغاوية) بالرجوع إلى ثُلاثيّها (غوى) وغاوي؛ فمن أغواه الشيطان فقد أضلّه، وربّما يُمعن في متاهات الضلال. وبالتحرّي المُعجميّ لاستجلاء دقّة المعنى المُراد من توظيف هذه الكلمة في عنوان الرواية: (غَوَى يَغوِي، اغْوِ، غَيًّا وغَوَايةً وغِوايةً، فهو غاوٍ، وغَوِيّ، وغَيّانُ والجمع: غُوَاةٌ، وغاوُون، وهي غاويةٌ والجمع : غاوياتٌ والمفعول مَغْوِيّ للمُتَعدِّي).

بالغوص في دروب استطرادات المعاني المُتولّدة تتضّح الصورة ببهاء، كما اشتهى وأراد الروائيّ (محمد إقبال حرب) بإيراد بعض الأمثلة: [الشَّابُّ: أَمْعَنَ فِي الضَّلاَل (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)، غَوَاهُ الشَّيْطَانُ: أَضَلَّهُ، أَغْرَاهُ، غَوَى: حاد عن الحَقّ ومال إلى هواه، غَوَى الرضيعُ: أَكثَرَ من الرَّضاع حتى اتَّخَم وفَسَدَ جوفُه[..

وبالتوفيق بين الكلمات الثلاث؛ بإعادة التركيب بعد التفكيك اللغويّ الدلاليّ، يبدو العنوان (هنا ترقد الغاوية) يفتح فضاء العتبة الروائيّة، لتتسّع رؤية القارئ

بإثارة التساؤلات، في محاولة مبدئيّة لتفسير أبعاد العنوان، من خلال التأويل برسم صورة مُتخيلةٍ لما وراءه.

أمّا وقد أخذ العنوان الرّئيس للرواية، أحد العناوين الداخلية في الرواية. لتأتي الإجابة الشافية الكافية على لسان (صابرين) بطلة الرواية التي دارت عليها محاور الحدث السرديّ حتّى نهاية الرواية، ومن أولى صفحاتها، وبعدما قالت بفصيح العبارة لم تترك لنا مجالًا للتخمين والتأويل: (أخاف أن أموتَ؛ فيُكتب الناس على ضريحي هنا ترقدُ الغاوية، غاويةٌ تُحيكُ غِيّها كالأرملة السّوداء. لا بل سيكتبون «هنا ترقد الزّانية» نعم.. لن يكتبها شخص واحد.. بل كلهم سيكتبون معه بإفكهم: هنا ترقد الزانية) ص١٢٥. و(زانية شريفة يا لحكمة الأقدار..!! شريفةٌ توصِمُ وجودها بعارٍ لم ترتكبه، تبًّا لعهدٍ أصبحت فيه الشريفة ركن مهانة..!) ص١٢٦.

المنظومة الاجتماعيّة ذات المفاهيم الرّاسخة بسيطرتها لا تتزحزح قيد أنملة في أذهان الأفراد، وتُشكّل بأناها الأعلى تابُوهًا مُقدّسًا ممنوع الاقتراب منه أبدًا. ويُنافس القِيَم الدينية الحقيقية، ويطمس الكثير منها. وصيرورة العُرف الاجتماعيّ بديلًا للهَدْي السماويّ.

الشخصيات الروائية:

الحدث الروائيّ امتدّت مساحته ما بين مصر في الشرق الأوسط، والولايات المتّحدة الأمريكيّة، لكن مرتكز الأمر قام على عدد محدود من الشخصيّات التي اِنْبَنى عليها العمل بأكمله.

وفي كلّ عمل هناك الشخصيّات الرّئيسة والثانويّة، وكثير من الأعمال الروائيّة

قامت تراتبيّاتها على البطل الأوحد. بينما في رواية (هنا ترقد الغاوية) قامت على تقاسم تشاركي للبطولة.

عائلة (تامر) وأخته (صابرين) وفيما بعد جاء دور ابنته (هنادي). وجاء دور (آدم غسان) و(حوده) رغم أنّه شرارة انطلاق قصّة المأساة عندما اغتصب صابرين في مصر فقد كان دوره مغمورًا، وكأنّه مُكمل للحدث. هؤلاء بدأ بهم الحدث في مصر، وانتقلوا لظروفهم إلى أمريكا، ليمتدّ إكمال حيثيّاته هناك.

(د. جون) الطبيب النفسي المعالج لصابرين، وتابعها حتى مرحلة شفائها، و(د. منصور) دورهما ثانويّ للضرورة القصصيّة. حيث أن د. منصور جاء في الأخير؛ لإضفاء صيغة رؤية ابتكرها د. جون.

سردية الرواية:

منذ أيام (رفاعة الطهطاوي) في منتصف القرن الثامن عشر، عندما ظهر كتابه (المرشد الأمين في تربية البنات والبنين)، ومازال موضوع تحرير المرأة يأخذ أبعادًا مختلفة. الرواية رصدت جزءًا من تعالقات الحياة الاجتماعيّة في الشّرق المُحافظ، وتشابكات طبيعة العلاقات القائمة في مجتمعات شرقيّة تتشابه في الكثير منها، وتختلف أيضًا في الكثير الآخر.

العادات والتقاليد راسخة في يوميات النّاس؛ فأصبحت قانونًا مُقدّسًا، لا يمكن اختراقه بالخروج عليه، لأنّ المنظومة مُتّفقة على ذلك، مُتكافلة مُتضامنة في الاِسْتحذاء خُضوعًا للأقوى. من هنا تظهر أن قوّة الأقوياء من ضعف الضعفاء. والأقوياء يفرضون شروطهم بالقوّة والإكراه.

وقضايا الشرف تُعتبر قمّة التعاطي مع أيّ أمر باختراقها على أنه جريمة لا تُغتَفَر.

فالنساء حرم مُقدّس كالعبادة، والعِرْض رديف الأرض في المفهوم العامّ تُراق من أجله الدّماء أنهارًا إذا ما انتُهِك. وجرائم الاغتصاب من هذا الصنف من الجرائم، ففي الأعراف العشائرية: تُقتل المجني عليها، ويُمجّد الجاني بما اقترفت يداه.

مع أن الشّريعة تُجرّم الفاعل والمفعول به كلٌّ حسب العقوبة المنصوص عليها. كما أن القوانين القائمة على قاعدة الأحوال الشخصيّة والمدنيّة؛ تُجرّم القائم بالفعل في حالات الاغتصاب القسريِّ في حال الادّعاء من المجني عليه.

- كيفية سرد الرواية جاءت على محمل الذكريات الموجعة في بلاد الاغتراب، بعد مغادرة الوطن، للدِّراسة ولتحسين الظروف المعاشيّة، كَوْن الشرق يود لو كان باستطاعته الارتحال إلى الغرب؛ فقد ورد: (اختلط الواقع بالخيال، الذكرى بالصورة، والصورة بالدموع) ص١٨. و(ارتطم الطفل في داخله بمدار الذكرى مُترنّحًا، وسقط) ص١٩.

منذ البداية أفصحتْ محامل الرواية عن نفسها، حيث أنّ مساحات الذكريات للحدث في حيّز مكاني مُحدَّد، تفتح آفاقًا واسعة متأنيّة بوعي لتقييم الأمر، وتقليبه على ضوء التفكير الهادئ والسَّليم.

-قضايا الفقر نتيجة الفساد، والدكتاتوريّات العسكرية عندما أحالت الحياة جحيمًا. تتعالى تواثبًا أشواق الهجرة الدَّائمة من الأوطان العاجزة عن تقديم الرّفاه لأبنائها الذين لا يفتؤون يتطلَّعون ساعين بكلِّ ما أوتوا من قُوَّة وجهد للهجرة، للعمل في جَلْيَ الصُّحون في المطاعم الأجنبيّة. والبطل غسّان، وفيما بعد هجرته لأمريكا تسمّى بآدم: (تأرجّح بين مِنَصّة الماضي والحاضر، حاول الوقوف ثانية؛ ليؤدّي دورًا جديدًا. دونما يأس أو شكوى مُكابدًا الفشل، حتّى نجح في مسعاه،

ووقـف بشـموخ) ص٢٠، و(سـعى لمزيـد مـن النَّجـاح في مُهمَّـة صعبـة، أقـصى آمالهـا الوصـول) ص٢٠.

فعـلا أقـصى الأمنيـات الوصـول إلى حافـة حيـاة كريمـة، تليـق بالإنسـان هنـاك في بـلاد الاغـتراب. وآدم ذلـك الشَّـاعر اللُّبنـانيُّ كان يعيـش في الخليـج. كتـب أشـعاره في محبوبتـه، وبقيـت طيّ دفاتـره وأوراقـه، بعـد هجرتـه عاد إلى ذكريـات تُداعـب قلبـه وفكـره، ولـم يكـن يخطـر بـباله أن يلتـقي بمحبوبتـه ثانيـة. هنـاك افترقـا.. وكان اللّقـاء هنـا مـع صابريـن، صاحبـة الأشـعار الـتي كُتِبَـت مـن أجلهـا، جـاء اللَّقـاء في رَمَـق حياتـه الأخـير، بعـد ذهـاب الشَّـباب ولذّتـه.

-حـدسُ الأنـثى غالبًـا لا يخيـب؛ فقـد تـردَّد تهديـد (حـودة) بالعـودة لاغتصابهـا مـن جديـد، وقتلهـا، رغـم تباعـد الزَّمـان والمـكان بينهمـا. صابريـن أصيبـت بحالـة عصبيّـة مـن الضغـط النفـسي مـن التَّخييـلات، والعـذاب النفـسي ممـا تعرضّـت له مـن اغتصاب، نظـرة المجتمـع القاتلـة لهـا، وتأنيـب الضمـير، ومـا بـين صـوت العقـل.. ونظـرة أخيهـا تامـر في الانتقـام لتبييـض شرف العائلـة، ومحـو العـار، أصيبـت بحالـة هـوس اكتئـابيٍّ أدَّت بهـا إلى مزيـد مـن الهلوسـات والفـزع، واختـلال نظامهـا الحيـاتيّ، إلى أن نُقِلَـت إلى مَصحَّـة نفسـية بعـد حـادث أليـم قـضى على أخيهـا تامـر.

ومـا منعـه مـن قتلهـا، والانتقـام لشرفـه المزعـوم منهـا: هـو رغبتـه بالحصـول على الجنسـيّة الأمريكيّـة.

- موضـوع الروايـة الأسـاسيّ والأبـرز، قضيّـة جرائـم الـشَّرف في الـشرق عمومًـا، البنـت صابريـن تعرّضـت لحـادث اغتصـاب في بيـت عمّهـا؛ أثنـاء إقامتها معهـم لظروف الدِّراسـة في المدينـة، عندمـا قدِمـت مـن القريـة.

-الروايـة سـلَّطت الضـوء على موضـوع اجتمـاعيّ مُهِـمٍّ جـدًا، دور رعايـة الأيتـام، ممـن فَقـدوا آبائهـم وأمهاتهـم، وأبنـاء السّـفاح، ومجهـولي النّسـب، وأسـس التربيـة، الانحـراف إلى الإجـرام، وربـط ذلـك مـع الفقـر.

ومثـال ذلـك الصـبي (حـودة)، الذي جلبـه عـمُّ صابريـن مـن دار الرعايـة وتبنَّـاه، بقصـد أن يُربِّيـه، ويعمـل معـه في مهنتـه.

- تفاعـلات الحـدث جـرت في مـصر، والظـروف عمومًـا هنـاك لا تسـمح بالحديـث والنقـاش، والإصغـاء لصـوت العقـل؛ فـكان ذلـك على أرض أمريكيّـة في مدنهـا وقُراهـا ومنتجعاتهـا ومقاهيهـا.

- هنـادي ابنـة تامـر أخ صابريـن، جـاء حـلّ عقـدة الروايـة، وتفسـير الحـدث على يديْهـا. مـوت أبيهـا سـاهم في حلحلـة المشـكلة القائمـة، وكانـت هي مفتـاح مسـاعدة عمَّتهـا صابريـن. لقاؤهـا بـآدم كان السـبب في لقـاء بعيـد المنـال لآدم مـع حبيبتـه الـتي مـا برحـت خيـاله، وكان لقـاء السّـحاب.

- لقـاء الأحبّـة.. مـوت (حـودة) بعـد محاولتـه القـذرة ثانيـة باغتصـاب صابريـن، ودخـول العجـوز آدم المفـاجئ؛ فأنقـذ الجميـع؛ ليـورق الحـبُّ مـن جديـد في قلوبهـم، والدَّهشـة الصَّادمـة لهنـادي، ولقـاء د. جـون. ود. منصـور، وزيارتهمـا المشـتركة إلى صابريـن للاطمئنـان عليهـا. كانـت آخـر فصـول روايـة (هنـا ترقـد الغاويـة). وأهميـة الرِّوايـة كونهـا لـم تسـتطرد خُروجًـا عـن فكـرة الانتقـام للـشَّرف، وقضايـا القتـل تبييضًـا للعـرض (جرائـم الـشرف). وقَـوَّة قانـون العُـرف العشـائريّ.

- (أخـيرًا ركعـت هنـادي على قدميْهـا، ونظـرت إليـه قائلـة: «يُمكنـكَ تقبيـل العروس الآن.. لـم يرهـا غسـان (آدم) رغـم أنّ خلايـاهُ أدركـت سرّ كلماتهـا. تهـادى رأسـه ثقيـلًا

في حضن قصائد صابرين المُتدلّية من شعرها الكستنائيّ، فيما أناملها البيضاء تُغلق جفنيْه، بينما يركبُ قطار الموت).ص٢١٨.

نهاية تراجيديَّة: عاش طيلة حياته على أمل لقاء جديد مع صابرين، لم يحصل إلّا في الرّمق مع خروج آخر أنفاسه، بنظرات تَسْتَملي صورتها الأخيرة.

الخاتمة:

لا شكّ للمُتابع للأعمال الأدبيّة الروائيّة؛ فقد رصدت مزيجًا لجوانب الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. ونحن بخصوص رصد البُعد الاجتماعيّ لرواية (هنا ترقد الغاوية)، وإذا ما أدرجناها في القائمة الطويلة للأعمال الروائيّة العربيّة المشهورة وخلافها، بإمكاننا الإشارة بيقين تامٍّ إلى مصطلح الأدب الاجتماعيّ، الذي رصد بمرآته الكاشفة للمَخفيّ والمسكوت عنه، تحت دواعي العيب والفضيحة وكلام النَّاس، والتقط القارئ رسالة هذه الرواية بيسر وسهولة، ووضوح الرُّؤية لدى الروائي (محمد إقبال حرب) في التفريق ما بين العادات والتقاليد والأعراف الشعبيّة، وما بين أحكام الدِّين الحنيف، وأظهر بمهارة واقتدار الخلط النَّاجم عند كثير من الكُتّاب والمفكرين بين الشعبيّ وقوانينه، وبين الإلهيّ المُتباعد بكافّة قِيَمه الثَّابتة عن الشعبيّ، الذي يميل في كثير من جوانبه إلى الغوغائية والانتقائيّة.

عمّان الأردنّ
٢٠٢١/٢/١١

سابعًا

شهداء الثورة

الشهيدُ الأديب عبد الهادي قاشيط (١٩٦٧- ٢٠١٣م)

تحرير عبد القادر حمود

بين الولادةِ والموتِ محطَّاتٌ كثيرةٌ، وكلُّ محطَّةٍ لها ما لها وعليها ما عليها، وستذهبُ محطَّاتٌ كثيرةٌ إلى العَدَمِ، إنَّما ثمَّةَ محطَّاتٌ سيُكْتَبُ لها الخلود، وفي رحلةِ الأديبِ الشَّهيدِ عبد الهادي قاشيط محطَّاتٌ ومحطَّاتٌ، ولعلَّهُ لم يكنْ يدري ولم نكن نحنُ الآخرينَ ندري بأنَّها ماضيةٌ في طريقِ الخلود.

ماذا عن الشهيد:

(أكتبُ كي أكونَ حيثُ الكتابةُ في دمي وكينونتي، ففي البدءِ كانتِ الكلمةُ، أكتب لأنَّ الكلمةَ تخيفُ الطُّغاة أكثر من رصاصةٍ، أكتبُ من أجلِ الحياةِ، الخيرِ، الحبِّ، الجمالِ، والإنسانِ الَّذي يَختزنُ كلَّ هذهِ القِيَمِ النَّبيلةِ في داخله، أكتبُ كي يكونَ الإنسانُ إنساناً، أكتبُ لأنَّ الكتابةَ صِنْوُ الحياة... وتركها صِنْوُ الموتِ)، كلماتٌ قالها الشهيدُ عبد الهادي قاشيط في عام ٢٠٠٨م، ولأنَّهُ كان وفيَّاً لما قالَ وصادقاً فيه فقد أصبحت هذه الكلمات مفتاحَ الحكاية عن الشهيد الذي قدَّم حياته وروحه ثمناً لها.

إنَّه عبد الهادي قاشيط، حلبيُّ السَّكَنِ والإقامِة، إدلبيُّ الأصولِ، إذ تعودُ أصولُ عائلته إلى مدينة (الدانا) القريبة من معبرِ باب الهوى الحدوديِّ مع تركيَّا، وهو من مواليد مدينةِ حلب عام ١٩٦٧م، وكانت إقامته فيها وفي حيِّ العزيزية خلف المركز الثقافي تحديداً.

وكانتِ السِّمَةُ الأبرزُ في الأديبِ الشَّهيدِ اندفاعَهُ الطاغي وحماسَهُ مدفوعاً بكمٍّ كبيرٍ من طاقة الشَّاب الدؤوب، لقد اتخذ له عملاً في متجرٍ صغير لبيع ألعابِ الأطفال وبعض الأدوات المنزلية وبعض الصحف، وكان المتجرُ الذي تعودُ ملكيته لوالد الشهيد أسفل البناء الذي تسكنه العائلة، ولقد اهتمَّ الشَّهيد بالأدب من بوَّابة القصَّة القصيرة والقصَّة القصيرة جداً، ونشر بعض المقالات المهتمّة بالنقد الأدبيّ والمسرحيّ، قبلَ أنْ ينطلقَ إلى عالمِ الصّحافة من خلال بعض الصّحف الخاصة التي بدأت تنتشر في منتصفِ العَقْدِ الأوَّل من القرن الحالي.

الشهيد الأديب عبد الهادي قاشيط

كان يتناول مواضيعه بجرأة تصل إلى حدِّ التهورِ، وأظنُّها بلغته، غير عابئ بما يجرّ عليه ذلك من نتائج، فقد كان عدواً للفساد بشكلٍ عامٍّ، ولم يكن في البلاد فساداً يفوق فسادَ السُّلطة، وفي هذه المساحة بالذّات كان الشَّهيدُ قد تجاوز الخطَّ الأحمر.

كتب عن طوابير الخبزِ، وعن الفسادِ في قطاع الخدمات بشكلٍ عامٍّ، وكتب عن أشياء كثيرة أزعجتْ السّلطة، وكأنه يحمل في داخله أمراً يهيِّئه ليومٍ قادمٍ ستكون فيه ثورة في البلاد ويكون هو أحد فرسانها ومن ثم أحد شهدائها، وحقيقة الأمر لم يكن ذلك بادياً عليه لما امتاز به من بساطة وعفوية، فالجرأة لديه كانت نابعة عن صدق أكَّدته الأيام فيما بعد.

لقد أصبحتِ الثَّورةُ حقيقة، ورافقَ ذلك متغيِّراتٌ كثيرةٌ في الواقع العامِّ لمدينة حلب الّتي تأخَّرتْ نسبيّاً عن الالتحاق بركبِ الثَّورة، ولكنْ كانَ ثمَّةَ مشهدٌ أدبيٌّ جديدٌ يرتسم، وبدءَ يطفو على المشهدِ ما نسمِّيهِ الولاءُ للثَّورة، ولكنَّ الأمورَ كانتْ تسيرُ بحَذَرٍ، فلا يُمكنُ الإفصاحُ عن ذلك والبلدُ على ما هي عليه، إنَّما كانَ للأديبِ الشَّهيدِ رأيٌ آخر، فقد سارعَ بإعلانِ نفسِهِ مُناصراً لثورة الحرِّيَّةِ والكرامةِ غير عابئ بما يجرُّ ذلك من تَبِعاتٍ، وذلك برغم إقامتِهِ وعملِهِ في منطقةٍ بقيَتْ تحت سيطرة النّظام عندما تحرَّرتْ أكثرُ أجزاء المدينة، ولم تنفعْ معه كلُّ المحاولاتِ للتَّهدئةِ من اندفاعه فقد كانَ مُصِرّاً حتّى على الحديث عن الثَّورة ووصفِ جزَّارِ سوريا الأكبر وشبِّيْحَتِهِ بأقذرِ الصِّفاتِ، وذلكَ بصوتٍ قويٍّ مسموعٍ ربما من مسافةٍ بعيدةٍ نسبياً عن متجره، وكأنه بالفعل يقوم بمظاهرةٍ وحدَه، وكان لا يتوقَّفُ عن كلامِهِ وعَرْضِهِ لما يتحدَّثُ به حتى وإن دخل (زبون) طارئٌ لا نَعْرِفُ هويَّتَهُ إلى المتجرِ من أجلِ التسوُّق أو السُّؤال عن أمرٍ ما.

قصة استشهاده:

إنَّ المعلومات المتوفِّرة تقول إنَّ الشَّهيدَ عبد الهادي اعتقلُ في أواخر العام ٢٠١٢م أو أوائل العام ٢٠١٣م على الأغلب، وفُقِدَتْ آثاره حتَّى أعلنتْ إحدى المحطّات التلفزيونية (حلب اليوم) نبأ استشهادِهِ تحتَ التَّعذيبِ في أقبيةِ فرعِ الأمنِ الجويِّ بحلب، ومن ثم ورد خبر استشهاده في مواقع عديدة وقد حدَّدت تاريخ استشهاده غالباً في أواخر العام ٢٠١٣م، وفي الشهر العاشر تحديداً، وقد ورد اسمه أيضاً في قوائمِ الموتِ في سجونِ النِّظام في عام ٢٠١٨م.

نبذة أدبية عن الشهيد:

كما أسلفنا فقد اهتمَّ الشهيدُ عبد الهادي قاشيط بفنّ القصَّةِ بشكلٍ خاصٍّ، فكتبَ القصَّةَ القصيرة والقصَّةَ القصيرةَ جدّاً (ق. ق. ج)، وقد شاركَ في العديدِ من الأمسياتِ والمهرجاناتِ والملتقياتِ الأدبيّةِ، وبخاصَّةٍ في ملتقياتِ القصَّةِ القصيرةِ جدّاً التي استضافتْ منها مدينةُ حلب ربَّما ثمانية ملتقيات، وقد صدرتْ له مجموعةٌ قصصيَّةٌ واحدةٌ بعنوان (تداعيات في حضرة الضَّمير)، صدرتْ عن دار المقدسيَّة للطباعةِ والنّشرِ والتَّوزيع في سورية في عام ٢٠٠٢م، كما كان له عدد من المشاركات في بعض أجزاء سلسلة (قطوف قلمٍ جريْ) في (ق. ق. ج) والتي صدرتْ عن دار الثريا بحلب مواكبةً للملتقيات الخاصَّة بذلك الفنّ، هذا وكان قد نالَ الجائزةَ الأولى لاتحاد الكتاب العرب عن قصَّته (رسالة إلى السَّيد المدير العام) وذلك عام ١٩٩٨م.

يقولُ القاصُّ (عبد الهادي قاشيط) عن مجموعتِهِ القصصيَّةِ (تداعيات في حضرة الضمير):

> في الحقيقة لم أكنْ راضياً كلَّ الرِّضا عن المجموعة شكلاً ومضموناً، وهذا ما دفعني إلى التريُّثِ بإصدارِ مجموعاتٍ أخرى، بالإضافةِ إلى ظروفِ الحياةِ القاسيةِ وخاصةً الماديَّةِ التي تقف حجرَ عثرةٍ في وجهِ المبدع أو على الأقلِّ تحدُّ من نشاطه.

وعن مواصفاتِ القصَّةِ الناجحةِ يقول:

> من حيث الفنّ القصصيّ أرى بأنَّ مقوماتِ النَّجاحِ معروفةٌ أهمُّها التَّشويقُ والإثارةُ والمفاجأةُ والاختصارُ والتَّصعيدُ والإدهاشُ، ولكنْ من حيث المضمون أجدُ بأنَّ النَّجاحَ والفشلَ لفظان نسبيَّان لا يُفهمُ أحدهما إلا بالنسبة للآخر، بمعنى أنَّهما لا يحتملان الإطلاق، فلا فشلٌ مطلقٌ ولا نجاحٌ مطلقٌ، فالقاصُّ الذي يفشلُ نسبيّاً في الحوار قد ينجحُ نسبياً في الفكرة أو السَّرد، وعلى العموم ثمَّة خطوطٌ عامَّةٌ أساسيَّةٌ يجبُ أنْ ترتكزَ عليها القصَّةُ لتكونَ أقربَ للنَّجاح، وهي أن تعبِّرَ عن ضمير الأمَّة والكاتب، وتنتمي إلى بيئةِ الكاتب، وتبتعدَ ما أمكنَ عن الشِّعارات الجوفاء، وأن يأتيَ الكاتبُ بما لم يأتِ أو ما لم يجرؤْ أبناء جيله على الإتيان به.

بعضُ ما قِيْلَ وكُتِبَ عن الشَّهيد:

يقولُ الأديبُ السُّوريُّ المعروف نجمُ الدِّين السَّمان بحسبِ ما وَرَدَ في موقعِ العربيِّ الجديدِ متحدِّثاً عن الشهيد عبد الهادي قاشيط الذي كان على معرفةٍ جيِّدةٍ به: (كان شابّاً طيباً وذا ثقافةٍ، بنى نفْسَهُ من لا شيءَ تقريباً، كان يعملُ بدكَّانٍ تعودُ ملكيَّتُهُ لوالده حَسْبَ ما أذكرُ ويعيشُ منه، وانطلقَ بمحاولاتِ الكتابةِ هُنا وهُناك، وصراحةً لم نكنْ نتوقَّعُ مِنْهُ هذا الموقفَ الجريءَ والحماسيَّ في الثَّورةِ ضدَّ النِّظام، وكانَ لموقفِهِ هذا ثمنٌ كبيرٌ دفعَهُ رحمهُ الله)، ويتابعُ الأديبُ نجم الدِّين السَّمان قائلاً: (هكذا موقف من هذا الشَّخص بمدينةِ حلبَ المنقسمةِ على

نفسِها لم يكنْ سهلاً، وهو انحازَ للفقراءِ والمهمَّشين فيها ليقولَ كلمته، وأعلنَ موقفَهُ ضدَّ السُّلطة عندما كان أغلبُ الناس يخونون مواقفهم، لأسبابٍ متعدِّدَةٍ منها الخوف).

وكتبَ القاصُّ خليل العجيلي على صفحتِهِ في فيسبوك متحدِّثاً عن الشَّهيدِ ومجموعتِهِ القَصصيَّةِ: (تداعيات في حضرة الضَّمير): (المجموعةُ القصصيَّةُ اليتيمةُ للقاصِّ عبدالهادي قاشيط /أبو حسام/ ،رحمه الله شهيدِ الكلمةِ الحرَّة، الصُّحفيِّ الشُّجاعِ الجريءِ، العفويِّ، البسيطِ، الفقيرِ، المكافح، كان يكتبُ عن رغيفِ الخبزِ، يكتبُ عن البسطاءِ، كان يفضحُ الفَسادَ قبلَ وأثناءَ الرَّبيع، قضى في أقبيةِ المخابراتِ الجويِّةِ في حلب، عبدالهادي لم يحملِ السِّلاحَ لكنَّه كان يحملُ منذُ زمنٍ ما هو أخطرُ من الرَّصاصةِ على النِّظام، صديقي ورفيقي وزميلي في القصَّةِ عبدالهادي قاشيط شهيداً للكلمةِ الحُرَّةِ رحمكَ الله وأسكنكَ في رحابِ جنَّتِه)..

وعلى صفحته في الفيسبوك كتب الأديب عبد الغني حمّادة: (الرحمةُ لشهيدِ الكلمةِ الحُرَّةِ الأديبِ القاصِّ عبد الهادي قاشيط الذي استشهدَ تحتَ التَّعذيبِ في المخابراتِ الجوِّيَّة بحلب، كان الشَّهيدُ من أصدقائي وقد شاركنا في أمسياتٍ أدبيَّةٍ في المراكز الثقافيَّةِ بحلبَ وخاصة بملتقى حلبَ السَّنويّ للقصَّةِ القصيرةِ جدّاً الذي كانت تُديرُهُ لجنةٌ من الأدباء برئاسةِ الدكتور محمد جمال طحّان.

اشتهرَ الأديبُ بكتابةِ المقالةِ والتحقيقاتِ الصّحفيّةِ الميدانيّة والقصَّةَ القصيرةِ وق. ق. ج، ويُعْرَفُ عنه أنَّهُ مِنَ المشاغبينَ مِنْذُ أن امتهنَ العملَ الصحفيَّ الرياضيَّ أولاً ثمَّ الكتابةَ الأدبيَّةَ، رحِمَ اللهُ شهيدَ الكلمةَ الحرَّةِ عبد الهادي قاشيط والصَّبرُ والسُّلوانُ لذويه).

ثامنًا

أقلام واعدة

انتماء

بقلم: جنى الغانم

ورد في المعجمِ العربيّ تعريف الانتماءُ بأنه (علاقةٌ منطقيَّةٌ بينَ الفرد والصنف الذي يدخلُ في ما صدَّقه)

أنْ تنتمي هو أنْ ترتاحَ، تنغمسَ في كورالٍ من الانسجامِ المُطْلَقِ بلا حدودٍ ولا معوقاتٍ، انظرْ إلى نفسكِ الضالَّةِ، ماذا تعرفُ عن الانتماء، أهو لحزبٍ أم لحاكمٍ أم....؟.

تتخبطُ في صراعٍ داخليٍّ مبجَّلٍ، لا هروبَ من واقعِهِ الشَّنيع...

(حظُّكَ ناكصٌ يا خالتي)، لا انتماءَ لك!

شتاتُ فكرِكَ يكاد يُغْرِقُ روحكَ في غيبوبةٍ ثقيلةٍ، لعلَّكَ إنْ علقتَ في جوفِ دوَّامَتِها وجدتَ نفسَكَ ولو قليلاً...

تحملُ أوراقاً بحروفٍ وتواقيعَ لم تُكْتَبْ لكَ، تمشي في شوارع لم تُصْنَعْ لخطواتك، تجلسُ على مقاعد لا تتحمَّلُ وزنك...

جزءٌ من وجدانك يُحَلِّقُ بعيداً عن هنا، في مرجِ زيتونٍ ينتظرُ أيادي غائبةً كي تخطِفَهُ بعيداً عن غصْنِهِ، ومن ثمَّ إلى ريم وجهك...، جفَّ كيانُهُ وتقوَّسَ ظهرُهُ من طولِ الانتظار، حتَّى الصَّبر نفسهُ تخلَّى عنه لأنَّهُ ضَجِر...

أنـتَ مثـلُ قطعـةٍ مـن قطـعِ الأحـاجي، تنـامُ في مكانِهـا المعهـود، وأنـتَ تبقي تسـتجدي على أطـراف الصُّندوق...

لمـاذا تـصرُّ على خـداع دماغِـكَ الأبلـه؟، أحقـاً تظـنُّ أنَّ سـطحيَّةَ روتينـكَ وهمسـاتَ دنيـاكَ مـن المُفـترِضِ أنْ تُنسـيكَ أنَّـك ليـسَ مرحَّبـاً بـكِ هنـا ولا هنـاك...

حـتّى وإنْ فتحـتَ أبـوابَ السَّـماءِ لتنتـهي غربـةَ السِّـنين، شَـمُّ الفـراقِ قـد قـامَ بالفتكِ بخلايـا جسـدِكَ، امـتزجَ الحـاضرُ بالمـاضي البعيـدِ ليصنـعَ أعجوبـةً... لا تعـرفُ الانتماء.

مأساة سعيد

بقلم محمد رمضان

سعيد هناك، على تلك الشرفة في الدار القديمة، بين طراوة أمسيات الصيف العذبة، نسماتٌ حارةٌ تداعب خصلات شعره برفق، أشجارُ الزيتون من حوله تظلّله إنه المساء الذي تملؤه العاصفة في قلب الصيف، يجلس وتحوطه بحفيف وريقاتها الرقيق. كمناديل الوداع البيض، تسافر الغيوم وتمضي بها الريحُ نحو فضاءٍ بعيدٍ.

سعيدٌ مطرقٌ في تلك الأمسية، يُلقي بشباك خواطره إلى الطبيعة المضطربةِ، يتساءلُ في سره منتظراً هدوء الليل: «ماذا نسمي العواصف حين تنتهي؟». يباغته شعور بأن يأوي إلى الحلم، لعلّه يجد إجابة، وينعم بالسلام.

كان يميلُ إلى العزلةِ والسكينةِ، يجولُ الحقولَ كثيراً، ولا يتكلم إلّا نادراً، وكان يعاني من العُرات أو متلازمة توريت (كما ندعوها اليوم) ولم تصل قريته المتواضعة إلى هذه المرحلة من العلم للتعامل مع هذا المرض، اعتبرته والدته ككل سكان القرية مريضاً وضعيفَ العقل، خاصةً أنه تأخرَ في النطق حتى سن الخامسة، وعند وصوله إلى المرحلة الثانوية، مرحلة الشباب الغارق في الخيال والمسرّات والحائم قرب السحاب بالآمال والأماني، متناسين واقعهم، تبددت هذه الشكوك لأن سعيداً أظهر كفاءةً في دراسته، وكان مُقبلاً على العلم بنهمٍ، وهذا فاجأ أهل القرية، فلم يعد مريضاً بنظرهم، و أصبح الشاب الوديع متوقدَ الذكاء، رغم التشنجات العصبية التي تحصل معه.

كانوا يسألونه لم تحركْ وجهك بهذه الطريقة؟

و تعرض للتنمر عدة مرات، في البدء كان سعيد يتألم من كلام زملائه، ويتمكن الشجن بقلبه الصغير، فيعودُ بعد المدرسةِ إلى الحقلِ قرب منزله، وينتحبُ تحت ظلِّ شجرةِ البرتقال إلى أن يحلَ المساءُ، فتواسيه الفراشاتُ والزهورُ، وتصدحُ من أجله أوراقُ الأشجارِ وتكّسر جرةَ حزنهِ الريحُ العاصفةُ، عندها فقط يرجعُ إلى البيت بقلبٍ مليءٍ بنغمات الحزن، وعينان أنهكهما طوفُ الدمعِ.

أدركَ مؤخراً أن هذه المضايقات لن تغيرَ شيئاً من طبيعته، ولن تؤثّرَ عليه، فأصبح يتجاهلها، ولم يعدْ يكترث بها.

وطالما حلمَ بالذهابَ إلى المدينةِ الكبيرةِ، حيث التطور، وناطحات السحاب، والطعام السريع، ودور السينما والمكتبات، والبحر الذي تمنى طيلة حياته أن يزوره ، لم يستطعْ أن يتخيل كيف أن البحر بأحرفه الثلاثة يمكنه أن يحضن كل هذا الماء فيه، هذا البحر سماءٌ ثانية، تسبح فيه الأسماك، و يعانق موجه الأفقَ ويمتزج مع السماء، لازورديٌ كفراشةِ الغروب ، عميقٌ، غامضٌ، يحفظ بداخله أسرار الكون.

وفي مطلع فجر يومٍ من أيام أيلول، اتجه نحو المطبخ المطل بشباكه على الحديقة، حيث عرائش العنب والفراولة وبعض زهور البنفسج، رأى والدته هناك تروي نباتات الغاردينيا بأكبر حنانٍ يمكنك أن تتخيله، حتى الغاردينيا استسلمتْ لكل هذه الرقة.

- أمي هل صحيح أن رغباتنا يجب أن تروى بالندى؟

- بلى وإلا لذبلنا مثل هذه الأزهار، نحن نحتاج لمن يهتم بنا، لكن أخبرني هل تنوي تركنا؟

كانت تعرف ما يجول بخاطره.

- كل الذين يدرسون يذهبون إلى الجامعة في النهاية، لذا يجب أن أرحل، ثم شعر بالخجل من أمه وأردف :

أعدك بأن أجلب معي ورود دوّار الشمس التي تعجبك في كل زيارة .

في خيبة أملٍ تأملتهُ ، ثم تنهدتْ، وأردفت أخبرني في أي فرع من الجامعة سوف تسجل ؟

- في علم الفلك، أريد أن أدرس النجوم والكواكب، فهناك تكمن أحلامنا وإلى هناك تحلق أمانينا.

- حسناً ألن تودع خالك؟

بالطبع! في نهاية هذا الشهر، سأذهب إليه ومن ثم أتوجه إلى المدينة.

ارتسمَ شبحُ ابتسامةٍ على وجهها وهي تنظر إليه، وهي تقول في نفسها: لقد كبرتَ بسرعة يا سعيد ، ستذهب بعيداً عني، وكيف يُعدُ طعامه بنفسهِ، يغسلُ ملابسهُ بنفسه، ينظفُ منزله بنفسه، هل هو جاهزٌ حقاً؟

الوداعُ ألمٌ يحملُ ألماً آخراً هو الانتظار، ودّع سعيدٌ عائلته محاولاً إخفاء دموعه، كي لا يبدو ضعيفاً، ويثّبتَ تماسكه. أما على الطرف الآخر، لم تستطعْ والدته أن تكبتَ دموعها، واشتدَ نحيبها، وأجهشت بالبكاء. وكذلك والده الذي غلبته دمعة أو اثنتين.

مضى متجهاً نحو قرية خاله، وهو يفكر بالمدينةِ وبالمستقبلِ الذي ينتظره، كان خاله من أعزِ أقربائه عليه، لطالما جلبَ له الهدايا عندما كان صغيراً، واصطحبه

في نزهـاتٍ إلى حقـول القمـحِ و السـنابلِ، وعلّمـه الأحـرف لأنـه كان المتعلـم الوحيـد في العائلـة، كان يقطـنُ في قريـةٍ بعيـدةٍ عـن قريتهـم، عندمـا وصـل إلى قريـةِ خـالهِ، بعـد جهـد جهيـد ،لـم يجـده، أخـبره أهـل القريـة أنـه ذهـب إلى المدينـة، وربمـا يعـود بعـد يـوم أو يومـين، قـرر أن ينتظـر في مـنزل خـاله إلى حـين يرجـع، اسـتلقى على السريـر المهـترئ، وغلبـه النـوم مـن شـدة الإرهـاق، وكانـت ليلـةٌ مـن دون أحـلام.

قبـل بـزوغ الشـمس بفـترة وجـيزة اسـتيقظ ، جلـس على طـرفِ الفـراش متأمـلاً ضـوء السَّـحَر المندلـعِ مـن النافـذة الصغـيرة، فـركَ عينيـه وأحـسّ بألـم طفيـف في رجليـه، ثـم تذكّـر أنـه يتنظـر مـجيء خـاله، شـعورٌ مبهـمٌ اعـتراهُ، اتجـه نحـو النافـذة المطلـة على الشـارع والحقـول المحيطـة بـه كانـت مـن بـين أشـجار الصنوبـر القاتمـة تتسرب الريـاح، كل شيءٍ يـوحي بأنـه يـوم عادي، لـم يقـررْ سـعيد بعـد مـاذا سـيفعل، وبينمـا هـو هكـذا ، دوى صـوت انفجـارٍ شـديدٍ هـزَ أرجـاءَ القريـةِ، تلتـه صيحـاتٌ مـن الأولاد، وضجـةٌ أحدثهـا الرجـالُ والنسـاءُ. لـم يلبـثْ أن سـمعَ انفجـاراً ثانيـاً، وثالثـاً، ثـم لـم يعـد يسـمع إلّا طنينـاً في أذنيـهِ، وبـدأ يرتجـفُ مـن فـرطِ الرهبـةِ والرعـبِ. خـرج مـن البيـت بجنـونٍ، فأصابتـه الرجفـة مـن هـول المشـهد، دمٌ يُغـرقُ الطرقـات، أنـاسٌ يصيحـون ويهرعـون إلى أبنائهـم أو بيوتهـم أو أي مـكانٍ آمـنٍ، فجـوةٌ هائلـةٌ في الأرضِ، بقربهـا مـا يشـبه الأشـلاء، هـمّ سـعيد بالركـضِ لسـبب مجهـولٍ، ربمـا غريـزةُ البقـاءِ، دفعتـه ولا يعـرف إلى أيـن يذهـب، كان يرتعـدُ ويتعرقـلُ في كل خطـوة، «هـل أحلـم؟»

لا وقت للسؤالِ الآن! يجب أن أجد مكاناً يأويني.

دويٌ رابـعٌ خـضّ القريـة بأكملهـا، كان هـذه المـرة قريبـاً مـن سـعيد، اندفعـت شـظيةٌ وأصابـتْ ذراعـهُ فتلـوّى ألمـاً وكاد أنّ يسـقطَ، لكنـه أكمـل طريقـه بمشـقةٍ جاهـلاً أيـن يذهب.

أبصر عربةً تحّملُ أشخاصاً، فركضَ إليها والدمُ يفورُ من كتفهِ. صعدَ دون أن يعلم وجهتها أو من فيها، انطلقت الحافلة خارجَ القريةِ، فيها سبعة أشخاصٍ ، من الواضح أنهم غرباءٌ وجدوا طريقهم إلى العربة هرباً من كل شيء، لاحظ رجلٌ الدم الذي يندفق من كتفِ سعيدٍ، فقدّم له قطعة من الملابس التي جلبها معه، وساعده على ربطها لمحاولة وقف النزيف، لم يتفوه أحدٌ بكلمةٍ، كان الجميع مصدوماً مما جرى، لم يصدقْ أحدٌ أن ما حدث للتوٍ كان حقيقة، هل سيرجعون إلى قريتهم مجدداً؟ ماذا عن خالِ سعيد؟ ماذا عن عائلةِ سعيد؟ ماذا عن مستقبل سعيدٍ؟ ماذا عن سعيدٍ نفسه؟ يبدو أن كل هذا قد ضاع وتحطم، ويبدو أن الأمور لن ترجعَ كما كانت أبداً.

إنها ساعة الرحيلِ، الساعة الأليمة والباردة التي يُخضعها الليل لكل المواعيد، بعد ساعاتٍ عديدةٍ من الذهاب إلى وجهةٍ مجهولةٍ، وأملٍ كاذبٍ في العودةِ إلى القريةِ، عَلِم من في العربة أنهم سوف يذهبون إلى مكانٍ ليبيتوا فيه بضعة أيامٍ، ليجمعوا شتاتهم المبعثر، ويستوعبوا ما حصل، ومن ثم ينطلقون إلى مكانٍ آخر، مجهولٍ.

بعدما وصلوا، رأوا المكان، مجموعةٌ من الخيام المصطفة قرب بعضها، أناسٌ آخرون يبدو أنهم عانوا نفس الفاجعةِ، أولادٌ يجوبون هنا وهناك، غير دارين بحقيقة كل هذا، إنه المخيم .

سرتْ رعدةٌ في كيان سعيدٍ عندما أيقن أنه خسر كل شيء، مكث الجميع في هذا المخيم ما يقارب الثلاثة أيام، كان سعيدٌ يشارك خيمةً مع رجلين آخرين وأدرك جيداً أن لا عودة، وأن المخيم هو مصيره.

مـرّتْ سـنةٌ عصيبـةٌ على سـعيد في المخيـم، لـم يسـمع فيهـا أي أخبـارٍ عـن عائلتـه أو خـاله أو قريتـه. وفي أحـد الأيـام، أتـت إلى المخيـم عـدة سـياراتٍ خـرج منهـا أنـاسٌ أتضـح أنهـم مـن منظمـة خيريـة، غايتهـا افتتـاح مدرسـة للأطفـال، وقـع الاختيـار على سـعيد ليكـون أحـد المدرسـين؛ فـرح لأنـه كان يريـد أن يمـضي وقتـه في شيء غـير الانتظـار،

بـقي ذلـك النهـار محفـوراً في ذاكرتـه ، إنهـا المـرة الأولى الـتي يواجـه فيهـا شـيئاً جديـاً لوحـده، على الهوينـا كان يجـوب شـوارع المخيـم الـتي غطاهـا الـردم والغبـار، يسـير والحزنُ يعتـصر قلبـه، كان المـاضي يطفـو مجـدداً كرواسـب منصهـرة، وكان ينتقـل مـن ذكـرى إلى ذكـرى. هـل في الحيـاة أسـخف مـن أن تـدعى سـعيد؟

بعـد سـنةٍ أخـرى مـن التدريـس، بغـض النظـر عـن أسـئلة الأطفـالِ حـول حـركات وجهـه الغريبـة، عرضـت عليـه المنظمـة منصبـاً أعلى؛ لأنـه كان مـن أفضـل المدرسـين، ولإظهـاره كفـاءةً عاليـةً في عملـه، وتقـلد منصبـاً رفيعـاً في المنظمـة، وأصبـح يتلـقى راتبـاً جيـداً، وانتقـل للعيـش خـارج المخيـم، فقـد أحـضروا له جـواز سـفرٍ وتصريـحَ خـروجٍ مـن البـلد، في هـذا الوقـت تلـقى خـبر وفـاة خـاله قـرب قريته...لطالمـا

كان غارقـاً في التفكـير بعائلتـه، وخـاله والأسـوأ مـن كل هـذا، أنـه لـم يكـن يعلـم إن كانـوا على قيـد الحيـاة، أم لا، هـوى بـه الحـزن، وتمكـن مـن روحـه.

بعدمـا خـرج مـن المخيـم، حصـل على جـواز سـفرٍ خـاص بـه، وتـزوج ورزق بطفلـةٍ جميلـةٍ، واشـترى سـيارةً وبيتـاً. وأصبـح رجـلاً ناجحـاً معروفـاً، فرغـم كل الذي مـر بـه، بالإضافـة إلى مرضـه افتتـح شركتـه الخاصـة وغـدا رجـل أعمـالٍ مشـهورٍ. واسـتثمر معظـم مـاله في مسـاعدة الأطفـال والميتّمـين في المخيمـات والمـلاجئ. فقـد افتتـح لهـم

مدارساً ودوراً للرعاية، وعمل أقصى ما يمكنه ليوفر لهم حياةً كالتي لم يحظ بها، كان يريد أن تكون لهم فرصٌ ومستقبلٌ كي لا يعانوا مثلما عانى.

لم يصله أي خبرٍ عن عائلته، ولا عن قريته. هل نسوه؟ هل يغفرون له ما فعل؟ هل خذلهم؟ لم يُرد سعيد أن يعلم الحقيقة. فيكفي أن خاله قد توفي وهو لم يره، لهذا لم يستطع أن يسأل أحداً عن عائلته؛ لأنه لا يريد لهم أن يكونوا مجرد خبر وفاة.

رياح الكآبة لا تزال تجرفه، أعاصير الأحلام لا تزال تنهال عليه. يسمع صوتهم في صوته المتألم، ضحكات أمه القديمة، أحاديث والده القديمة، بكاء إخوته، حمل ابنته إلى السيارة، متقبلاً الواقع الذي سوف يصدمه بالحقيقة، أوراقٌ جافةٌ خريفيةٌ تحوم في روحه. متشبثاً بحب ابنته الذي لم يجد غيره، لهبٌ من ذهولٌ يحترق في ذاته، ذهب سعيد إلى قريته آملاً أن يلقى هناك من يعيد له سعادته.

جاهد بصمت واستشهد بصمت

نور الهدى سيد عيسى

في رحاب ذلك البيت العربي القديم، وفي غرفةً من غرفه الصَّغيرة، المفعمة برائحة الأجداد والياسمين و الجدرانِ الطينيةِ، ومع إشراقة يومٍ شتويٍّ باردٍ، وفي ساعات الفجرِ الأولى وُلِد طفلٌ ملائكيُّ الطّلةِ، في وجهه إشراقةُ حياة، وفي قسماته ملامحُ رجولةٍ مبكرةٍ، هو أصغرُ أطفالِ تلك العائلةِ وآخرُ العنقودِ، كما كانوا يطلقون عليه.

كان طفلٌ جميلُ المُحيّا، بهيّ الطلعةِ، ظهرت عليه آياتُ الرُشدِ منذ الصغر، تتلألأُ عيناه ذكاءً.

ما إن بلغ السَّنتين حتَّى توفي والده بعد صراعٍ طويلٍ مع المرضِ، فعاشَ يتيماً بين أفراد أسرته المشبعة بالحزن والحرمان، لم يفته دلال عائلته ومحاولاتهم الدَائمة لتعويضه عن مرارة الفقد، مشى على طريق اليتم يحاول جبر قسوته، لكنَّ اليتم كان أقوى منه إذ أطبق عليه دائرته عندما انتزع أمه منه وهو على أعتاب دراسته الثانوية، بينما كان يحاول فتح باب مستقبلٍ جديدٍ ينسيه قهرَ الأيام، لكنَّه كان أقوى من أنّ يستسلمَ لها، جدَّ ودرس وتفوَّق إلى أن نال الشَّهادة الثانوية بأعلى درجاتها، فاختار دراسة اللغة الإنكليزية الفرع الذي طالما حلُم به، التحق بالجامعة وتفوق في سنواتها الأولى وعندما بقي له عام واحد فقط لتحقيق الحلم والتخرج، ثارت براكين الثَّورة في بلده تنادي بالحرية وإسقاط نظام الاستبداد،

عـلا صـوت الحـقِّ، وانطلقـت المظاهـرات الشـعبية، فـكان مـن أوائـل المشـاركين فيهـا، تحـدَّى المـوت مـراتٍ عديـدة، وواجـه بطـش الظَلمَـةِ بروحـه وجسـده، ولكـنَّ اليـد الإلهيـة كانـت تحميـه دائمـاً، إذ حمتـه مـن المـوت في كلّ مـرة، بـدأ خـوف أهلـه عليـه لاسـيَّما أنَّـه ابـن أسرةٍ مناضلـةٍ ومعروفـةٍ بكرهها لهـذا النظـام المسـتبد منـذ سـنوات طويلـة، لـم يكـن الخـوف عليـه مـن المـوت، بـل كان خوفـاً مـن اعتقـال مرعـبٍ، يخسر فيـه الإنسـان كلّ شيء قبـل أن يخسر روحـه، وبعـد مشـاوراتٍ طويلـة قامـت عائلتـه بتهريبـه إلى بـلدٍ عـربيٍ مجـاورٍ، ومـا إن وصـل حـتَّى وجـد عمـلاً ممتـازاً، وأجـواءً رائعـةً للعيـشِ. قطعـةٌ مـن قلـب العائلـة أصبحـت في بـلدٍ آخـرٍ، لكـنَّ الجميـع كان يشـكر الله على نجاتـه مـن الاعتقـال، لـم يطـل شـعورُ العائلـة بالراحـة لأجلـه، فهاتـف مـن رقـم غريـب لأختـه سرق فرحتهـم، كانـت المكالمـة كصاعقـةٍ أخبرهـم فيهـا أنَّـه عاد إلى سـورية، وفسـطاط المسـلمين، سـألته أختـه: مـا السـبب؟

فأجابها بكلّ شجاعة ومروءةٍ وثقةٍ:

و هـل يليـق بي أن أتـرك الشـباب في بـلدي يُقتلـون بـدمٍ بـاردٍ، و النسـاء تعتقـلُ وتغتصـبُ، والأطفـالُ يُذبحـون لأعيـش بعيـداً في هنـاءةٍ وسرور؟!! «،

سـاد الصمـت وسـيطر الخـوف على الجميـع، جادلـوه، قالـوا: « مازلـت شـاباً في مقتبـل الحيـاة، شـبابك يسـتحق السـعادة والأمـان»، فـكان ردَّه الوحيـد: « السـعادة سـعادة الثـورة والربـاط»، رفـض بعـض أفـراد أسرتـه تصرفـه، لكنَّهـا إرادة الله أرادت له أن يسـير في طريـق الحـق والنضـال، منـذ أن خـرج مـن بيتـه مـودعاً طفولتـه، وسـنوات شـبابه القصـيرة، وذكريـات المـاضي، لـم يـره أحـدٌ مـن أفـراد عائلتـه، كلّ ما كان يصلهـم منـه صـوت متقطـع فيـه الكثـير مـن الشـوق والحنـين، والأمـل بلقـاء

قريب بعد تحقيق الحلم المنتظر لشعبٍ أتعبته سنوات طويلة من الظلم والقهر والخنوع.

أصبح الحلم بعودته هاجس أسرته ومؤنس لياليهم، تخيلوه دائما عائداً إليهم جالساً بينهم يروي لهم قصص البطولةِ والتضحيةِ التي جسَّدها مع رفاقه في أرض الغوطة الحرة، لكنَّ الحلم طال أربعة أعوام، وفي ليلة مباركة، حدث ماكان تخشاه قلوبهم فتدفع خاطره عنها مذعورة مستعيذة،

جاء البشير إلى أهله ليخبرهم أن ولدهم فلذة كبدهم قد نال شرف الشهادة على جبهة من جبهات العزة والكرامة في حيّ جوبر الدمشقي، هو وخمسةٌ من رفاقِه في طريق الجهاد، وأن مقبرة جماعية في زملكا ضمَّت جسده الغض مع الآخرين.

علت صيحات التَّكبير في البيت، و نمت زنابق الحياة مضرجةً بدماء الكرامةِ والعزةِ، وبقدر ما كان الحزن عظيماً كان الفخرُ به أعظم، لم يكن استشهاده مؤلماً بل كان عيداً وعرساً لعائلته، فهم أهل الشهيد، حزنهم الوحيد أنَّه رحل بلا قبرٍ يمكنهم زيارته كلما اشتعلت نار الاشتياق.

تمت

مجلّةُ ورق

أدبيّة ثقافيّة فكريّة فصّلية الكترونيّة

اتحاد الكتاب والأدباء
السـوريين الأحرار